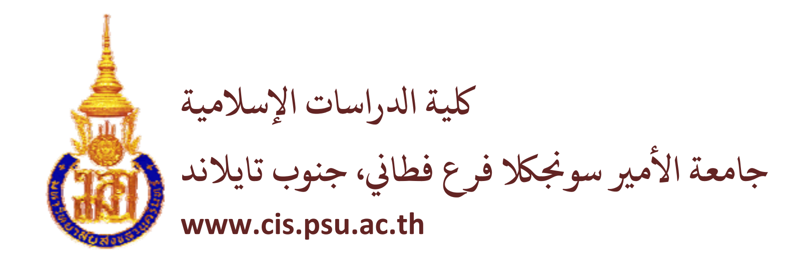


تعليم الدراسات الإسلامية الفعّال مشكلات وحلول تجربة شخصية في مؤسسات تعليمية بشرق أفريقيا والبحيرات العظمى دراسة حالة "تنزانيا"

إعداد:

عمر عبد الله سيماسابا



بسم الله الرحمن الرحيم

تعليم الدراسات الإسلامية الفعّال مشكلات وحلول تجربة شخصية في مؤسسات تعليمية بشرق أفريقيا والبحيرات العظمى دراسة حالة "تنزانيا"

إعداد: عمر عبد الله سيماسابا
محاضر اللغة العربية بجامعة السلطان إدريس التربوية
تانجونج ماليم- بيراق- ماليزيا

مقدمة

الحمد لله القائل:{ إن الدين عند الله الإسلام}، والصلاة والسلام على نبيه القائل: " الإسلام يعلو ولا يعلى عليه" وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، أما بعد،

فالدراسات الإسلامية عبارة عن كل الدراسات المتعلقة بالإسلام. وتعليم الدراسات الإسلامية تعليم الإسلام نفسه، وتعليم الإسلام تبليغ هذا الدين للناس، ودعوتهم إليه. وهو من واجبات المسلمين، يقول المولى عز وجل: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة... }... ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها الملائمة، وهي تقتضي أمورا عدَّة.

ومما لا يخفى على من يعنى بتعليم الدراسات الإسلامية أن ثمة مشكلات متعددة مربطة بتعليم الدراسات الإسلامية، ولكي نتمكن من النهوض بمستوى المتعلمين في الدراسات الإسلامية، لا بد من الوقوف على هذه المشكلات وأسبابها بدراسات علمية مركزة، بغية التوصل إلى الحلول الملائمة لها. وقبل الخوض في سرد تجارب الباحث وملاحظاته، يحسن الإشارة إلى بعض الجهود التي بذلت في سبيل تطوير التربية والتعليم قديما وحديثا.

إسهمات العلماء المسلمين التربوية والتعليمية:

من رجالات التربية والتعليم في الإسلام:

أولا : أبو حامد الغزالي

نسبه و حيـاته:

أبو حامد الغزالي شيخ المربين ، هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (450 هـ - 505 هـ)، مجدد القرن الخامس الهجري، أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين في التاريخ الإسلامي. ويعد الغزالي من أشهر فلاسفة المسلمين ومن أكبر مفكري الإسلام المدافعين عنه، بل من أكثرهم قدرة على الابتكار. وكان فقيها متكلما صوفياً، وسمي حجة الإسلام لذوده عن العقيدة الإسلامية بفكره وقلمه، ولرده على الكثيرين من المخالفين للإسلام.

آراؤه التربوية

نظرته إلى الطبيعة الإنسانية: يؤكد الغزالي أن الشخصية الإنسانية مكتسبة موروثة، وأن البيئة التي يعيش فيها الإنسان والثقافة التي يتفاعل معها تشكلان شخصية الفرد. وبذلك ينفي الفكرة التي سادت في الفلسفات القديمة والتي ترى أن الشر مركب في النفوس. كما وقف الغزالي موقفاً وسطاً في قضية حرية الإرادة. إذ يعتقد أهل السنة أن الإنسان مجبر وأن إرادته مقيدة بإرادة الخالق، على حين يرى المعتزلة أن الإنسان حر الإرادة وأنه مسئول عن أعماله خيرها وشرها، أما الصوفية فقد ألغت إرادة الإنسان تماماً. وأخذ الغزالي يمزج بين هذه الآراء، إلى أن تبنى المذهب القائل بالإرادة وسط بين الجبر والاختيار.

فلسفة التربية.

الأساس الذي تستند إليه فلسفة التربية عند الغزالي هو تحقيق السعادة للإنسان .

وهدف التعليم عند الغزالي تحقيق الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من الله، ومن ثم سعادة الدنيا والآخرة ويبلغ الإنسان كماله باكتساب الفضيلة عن طريق العلم، وهذه الفضيلة تسعده في الدنيا، وتقربه من الله فيسعد في آخرته . ووظيفة التعلم تهيئة الفرد للمساهمة في تحقيق الحياة

الاجتماعية، بحيث يقبل كل فرد على القيام بما أعد له دون شعور بالحرج أو التردد، لأن المكافأة على درجة الإتقان وليست على نوع العمل(90) . ويرى الغزالي أن العلم ينبغي أن يطلب لذاته لأنه فضيلة في ذاته، وهنا يطلب المتعلم العلم لما له من قيمة ومتعة ولذة يستشعرها طالب العلم، وهنا يتجلى تأثير الصوفية في وجهة نظر الغزالي. وترتب على ذلك عدم تحمس الغزالي للتعليم المهني .

محتوى التعليم :

يرى الغزالي أن منهج التعليم بناء تتكامل فيه العلوم الدينية والمهن الدنيوية. لأنه إذا اقتصر المتعلم على العلوم المادية والنظرية دون علوم الدين فإنه يضيع عمره فيما لا ينفعه في الآخرة. وإن اقتصر على علوم الدين وحدها فإنه لا يفهم الدين. وقسم الغزالي العلوم إلى أربع أنواع هي: الأصول وتشمل القرآن الكريم والحديث الشريف، والفروع وتشمل الفقه، والمقدمات وتشمل ما لا غنى عنه في دراسة الأصول مثل اللغة والنحو، والمتممات وتشمل القراءات والتفسير . هذا وقد حدد الغزالي أهمية العلوم وفق معايير واضحة هي:.

1 – مدى منفعة العلوم للإنسان في دنياه وآخرته. أي العلوم التي تطهر النفس وتجمل الخلق، وتقرب من الله، مثل القرآن الكريم والعلوم الشرعية.

2–مدى منفعتها للإنسان من حيث ضرورتها وخدمتها لعلوم الدين، مثل علوم اللغة.

3–مدى منفعتها للإنسان في دنياه، مثل الطب والحساب والصناعات المختلفة.

4 –مدى منفعتها لثقافة الإنسان وتأثيرها في حياته الاجتماعية وقدرتها على تحقيق الاستمتاع بالعلم ، وهي الشعر والتاريخ والسياسة والأخلاق.

وانطلاقاً من هذه المعايير التي تحدد أهمية العلوم اقترح الغزالي أن يتضمن المنهج الدراسي أربع مجموعات من العلوم، تؤكد الاهتمام بالدين والمجتمع والثقافة وهي–:

أ– مجموعة القرآن الكريم وعلوم الدين كالسنة والفقه والتفسير.

ب– مجموعة اللغة والنحو.

ج– فروض الكفاية وهي الحساب والطب والصناعات المختلفة.

د– العلوم الثقافية كالشعر والتاريخ وبعض فروع الفلسفة.

مبـادئ التعلم

يرى الغزالي أن النفس البشرية قابلة للتعلم، لأن العلم والحكمة كامنان أصلاً في نفس الإنسان. ولكن هذه القابلية تتفاوت لأسباب طارئة لا ينجو منها إلا نفوس الأنبياء التي تبقى على صفاتها. وأن التعليم الإنساني يحتاج إلى مراعاة المبادئ التي تؤثر في التعلم وتعززه، وهي : أ- تعزيز الاتجاه الخلقي ب- مراعاة الاستعدادات والفروق الفردية ج- التدرج في التعليم د- التشويق هـ- صحبة المعلم و- الممارسة والتطبيق والتكرار.

تربية الطفل

أهمل الغزالي تربية البنات واهتم بتربية الصبيان، ويرى أن التربية تبدأ من الحضانة الطفل وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة، ويمكننا تلخيص أهم آراء الغزالي في تربية الصبيان فيما يلي:أ- تهذيب الصبي عن طريق تعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللازمة ومعرفته علوم الشرع. ب- مراعاة التوسط والاعتدال في تهذيب أخلاق الصبية.ج- إبعاد الصبية عن قرناء السوء، وإبعادهم عن التدليل، وعدم التساهل في التعامل معهم.

د- شغل وقت فراغ الصبي حتى يبتعد عن العبث والمجون، وخير طرائق شغل هذه الأوقات تعويد الولد قراءة القرآن الكريم. هـ- ممارسة الصغار اللعب، ويرى الغزالي أن اللعب له ثلاثة وظائف رئيسية: فهو يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته، كما أنه يدخل السرور في قلبه، وهو مريح له من تعب الدروس، ولذلك ينصح بأن يلعب الصبي لعباً جميلاً بعد الانصراف من الكتّاب. و- ينصح الغزالي بعدم التمادي في عقاب الصبي، والإقلال من التأنيب والتشهير بمساوئ الصغار، ويطالب بأن يتجنب المعلم استعمال القسوة في تهذيب السلوك.

الدعوة إلى الانفتاح والتفاعل والتطور

دعا الغزالي إلى الانفتاح على العلوم مهما كانت موضوعاتها. فالعلم شريف بذاته من غير نظر إلى وجهة المعلوم، " فالعلم ضد الجهل، والجهل من لوازم الظلمة، والظلمة من خير السكون،

والسكون قريب من العدم ويرى الغزالي أن تعدد الآراء في موضوع من الموضوعات ليس سبباً في الحكم على فساده.

ثانياً : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

نسبه و حياته

هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ولد في مدينة حران في شمال سوريا عام 661 هـ، وتوفي في سجن القلعة في دمشق عام 728 هـ عن عمر يناهز 68 عاماً.

واشتغل ابن تيمية بالتدريس أغلب سنوات عمره وكانت له مراسلات مع تلاميذه ومع المتخصصين في فروع المعرفة وقضايا العقيدة وعلم الاجتماع.

وقد عالج ابن تيمية الكثير من المفاهيم التربوية ضمن أبحاثه ودراساته الوافرة. وتناول عدة موضوعات تتصل اتصالاً مباشراً بأصول التربية مثل الحكمة من التربية، وأهداف التربية ومناهجها، وطرائقها، وعلاقة التربية بالتراث، ومفاهيم التعليم. وركز في هذا المجال على الأصول دون الفروع، إذ انطلق من التزام واع بالقرآن والسنة، ومن استجابة واقعية لمتطلبات مجتمعه في معالجة الانحرافات التي خربت مؤسسات التربية في زمانه. ومن الواضح أن أفكار ابن تيمية ونشاطه أزعجت قوى التقليد والبدع والانحراف حتى أصبح الصدام مع هذه القوى أمراً ضرورياً.

نتاجه الفكري

ترك ابن تيمية تراثاً ضخماً شمل علوم الدين والعقيدة والاجتماع .

ومن أشهر مؤلفات: أ- الفتاوى (37 مجلداً) في التوحيد والتفسير والفقه والتصوف والسلوك.

ب- درء تعارض العقل والنقل (11مجلداً) ج- مجموعة الرسائل الكبرى.

د- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. هـ- اقتضاء الصراط المستقيم. و- الاستقامة. ز- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول . ح- الصارم المسلول على شاتم الرسول . ط- السياسة الشرعية. ي- الحسبة في الإسلام.

ك- الإيمان. ل- رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

وهكذا أحدثت آراء ابن تيميه تياراً فكرياً شكل في حياته مدرسة جذبت إليها الأفذاذ من مختلف الاتجاهات والمذاهب. واستمرت روح تعاليم ابن تيمية تتفاعل مع أحداث التاريخ الإسلامي، وتنهل منها جميع الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي.

آراؤه التربوية

تحتل الأفكار والآراء التي بلورها ابن تيمية في التربية مكانة رئيسة في الأصول التاريخية للتربية عند المسلمين

وتتميز آراء ابن تيمية التربوية بثلاثة أمور هي

أ- التركيز على المفاهيم الرئيسية التي تتصل اتصالاً مباشراً بأصول التربية مثل فلسفة التربية وأهدافها، ومنهج التربية، وعلاقة التربية بالثقافة والتراث. ب- الالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما المصدران الرئيسيان للفكر التربوي الإسلامي.ج- تحديد البدائل الفكرية والتربوية لمعالجة الانحرافات التي سادت مؤسسات التربية الإسلامية ومناهجها.

وفيما يلي أهم آراء ابن تيمية التربوية التي يمكن توضيحها في الشكل التالي:

آراء ابن تيمية التربوية

-فلسفة التربية والتعليم - أهداف التربية -العلم النافع أساس الحياة - تربية الفرد المسلم - طلب العلم عبادة -التوحيد محور فلسفة التربية - الدعوة للإسلام في العالم

-رسالة الأنبياء والرسل —المنهج -طرق التربية وأساليبها -العلوم كلها شرعية إسلامية - الطريقة العلمية -العلوم نوعان: * إصلاح أداة التعلم (القلب)

1- *سمعية (الوحي- الرسائل) *الإحاطة بموضوع التعلم

2- *عقلية (العقل- الحواس) * توفير فرص التطبيق العلمي

للمنهج أربعة ميادين: 1-دينية 2- عقلية 3- عسكرية 4- صناعات. *

*معرفة المقاصد *توفير البيئة المناسبة -أساليب تربوية في الطريقة العلمية - أساليب تربوية في طريقة الإدارة *أسلوب الحكمة *الصلاة *الزكاة *أسلوب الموعظة الحسنة *أسلوب الجدال الحسن * الأفعال النافعة

فلسفة التربية والتعليم:

يرى ابن تيمية أن العلم النافع أساس الحياة الرشيدة الصالحة، والعمل بهذا العلم هو الذي يقيم الحياة ويمنحها البقاء والاستقرار. وأن التوحيد هو المحور الذي تدور عليه فلسفة التربية وهو نوعان: توحيد الربوبية، وهو الاعتقاد الحقيقي بأن الله هو المربي الحقيقي للإنسان والعوالم عامة، وتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة والمحبة والحمد والطاعة 0

أهداف التربية:

انطلاقاً من الحكمة من التربية التي حددها ابن تيمية نراه يبلور أهداف التربية في أمور ثلاثة هي: تربية الفرد المسلم، وإخراج الأمة المسلمة، والدعوة للإسلام في العالم.

المنهج

يرى ابن تيمية أن العلوم جميعها مظهر للكلمات الإلهية التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع متعددة. وهذه الكلمات تنقسم إلى قسمين: كلمات دينية مثل قوله تعالى: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" (البقرة:124)، وكلمات كونية مثل قوله تعالى: " وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا " (الأعراف:137). ولا يملك مخلوق مخالفة الكلمات الكونية التي تعني قوانين الكون والحياة والموت والخلق، وإنما تقع المخالفة في الكلمات الدينية، لأن الله امتحن بها الإنسان.

وانطلاقاً من هذا التصنيف للحقيقة يرى ابن تيميه أن العلوم جميعها شرعية إسلامية نتاج الشرع والعقل. وهي نوعان: علوم سمعية جاءت بالسماع عن طريق الوحي والرسل، وعلوم عقلية وهي تلك التي وجه الله العقل للبحث عنها. ولا تعارض بينهما للان كلاً منهما يكشف عن آيات الله في الوحي والخلق. وفي ضوء ذلك يقسم ابن تيمية المنهج إلى أربعة أقسام:

أ- ميدان العلوم الدينية: ويتضمن علوم إجبارية تتعلق بدراسة العقيدة الإسلامية والعبادات والأخلاق وهي علوم القرآن الكريم والسنة، ومباحث الفقه، وعلوم اختيارية تتعلق بمجالات القضاء والحسبة والإرث والتعليم.

ب- ميدان العلوم العقلية: ويمثل القسم الثاني من العلوم الشرعية وتسمى شرعية عقلية وتتضمن الرياضيات، والطب، وعلم الأحياء، والطبيعة، والعلوم الاجتماعية، وثمرتها الكشف عن آيات الله في الأنفس والآفاق.

ج- ميدان العلوم العسكرية: ويتضمن علوم إجبارية لارتباطها بالجهاد وتتشكل وتتنوع حسب مهارات العصر وأدواته ووسائله. وتعاون المعلمين واجب في هذا المجال، لأن تعلم هذه الصناعات من الأعمال الصالحة.

د- ميدان الصناعات والحرف: ويمثله صناعات إجبارية واختيارية، فما كان مفقوداً في المجتمع صار إجبارياً وفرض عين، فإذا وجد إلى الحد الأدنى الذي يكفي الناس صار اختيارياً. وتعد الصناعات الحربية أفضل الصناعات لارتباطها بالجهاد.

وهكذا ابتكر ابن تيمية تنظيماً للمنهج استهدف تزويد المتعلم بمستوي عقائدي وأخلاقي رفيع يوجه سلوكه وممارسته مهما تنوعت أعماله ووظائفه.

طرائق التربية و أساليبها:

يقسم ابن تيمية طرق التربية إلى قسمين هما: الطريقة العلمية، وطريقة الإرادة .

أ- الطريقة العلمية:

وهي صحة النظر في الأدلة والأسباب الموجبة للعلم، وتقوم هذه الطريقة على قوة الفكر الذي يبدأ بالقلب وينتهي بالعقل .وأدرج ابن تيمية في الطريقة العلمية عدة أساليب منها

*أسلوب الحكمة: وبها يتمكن المتعلم من التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل.

*أسلوب الموعظة الحسنة: وبها يُعلّم المعلم أولئك الذين يؤمنون بالعقيدة الصحيحة ولكن لا يعلمون بها.

*أسلوب الجدال الأحسن: وبه يُعلّم المعلم أولئك الذين لا يؤمنون بالعقيدة الصحيحة ولا يمارسونها.

ب- طريقة الإرادة:

وهي الطريقة الموجبة للعمل. وتقوم هذه الطريقة على ثلاثة أمور :

الأول معرفة ما هي الإرادة،

والثاني معرفة المقاصد التي تتحرك نحوها الإرادة،

والثالث توفير البيئة المناسبة لتربية الإرادة

ويؤكد ابن تيمية على ضرورة تكامل الطريقة العلمية وطريقة الإرادة.

طرق الوصول إلى المعرفة

يستمد ابن تيمية منهج الوصول إلى المعرفة من القرآن الكريم، ويطلق عليه الطريقة القرآنية (الدلالة الشرعية)، ويستند هذا المنهج إلى تكامل الوحي والعقل في المعرفة والإيمان.

ويوضح ابن تيمية الكيفية التي يتعاون فيها كل من الوحي والعقل للوصول إلى المعرفة كتالي

(أ) يقدم الوحي " الخبر الصادق " المتضمن في الآية القرآنية، وهذا يقابل فرضية البحث في العلوم التجريبية، غير أنه صادق ولا شك في صدقه.

(ب) يطلب الوحي إلى العقل أن يتحرى تفاصيل "الخبر الصادق " في مختبر الحياة الذي يطلق عليه القرآن الكريم اسم الآفاق والأنفس، وعلى المتعلم- خلال ذلك التحري والبحث- أن يستخدم العقل والسمع والبصر، ثم يقارن النتائج التي يتوصل إليها في مختبر الحياة بالمعلومات التي قدمها الخبر الصادق .

ويوضح ابن تيمية أن تكامل الوحي والعقل والحس في منهج المعرفة يؤدي إلى تأسيس مجتمع الإيمان والعلم.

التربية والتراث:

قسم ابن تيمية التراث إلى ثلاثة أقسام: الأول تراث أهل الكتاب، والثاني تراث السلف الصالح، والثالث الأجيال الإسلامية التي تلت عصر السلف الصالح

الانفتاح على خبرات الآخرين:

شدد ابن تيمية على الانفتاح على علوم الآخرين، وندد بالتعصب والجمود اللذين شاعا في عصره، وحشد لذلك معارفه الشرعية وقدراته العقلية، مؤكداً أن "أعلم العباد هو الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدي أو ترد عنه ردي "

وأجاز ابن تيمية ترجمة أفكار غير المسلمين للعلم بما عندهم والانتفاع به في مخاطبتهم ومناظرتهم .

ثالثا : بدر الدين بن جماعة:

1-نسبه وحياته:

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني . ولد في حماة سنة 639 هـ . وتوفي بالقاهرة عام 733 هـ.

تلقى بدر الدين بن جماعة تعليمه في حماة ، ثم قدم إلى دمشق وكانت في عصره محج العلماء وطلبة العلم، اشتهر عنه مهارته في إنشاء المدارس وتأسيسها على قواعد متينة والإشراف عليها بأساليب مبتكرة ، وشهد له العلماء بإتقان التدريس وإجادة وامتلاك مهاراته ، ولما ذاع فضل بدر الدين بن جماعة أسند إليه قضاء الشافعية بالقدس عام 687 هـ ، ثم نقل إلى الديار إلى المصرية سنة 690 هـ.

نتاجه الفكري:

كان ابن جماعة كثير التأليف في عديد من المعارف ، ومن أهم مؤلفاته:

أ _ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

ب_ المختصر في علم الحديث. ج_ كتاب المسالك في علم المناسك.

د_ المنهل الروي في علوم الحديث النبوي. هـ -**كتاب المقتص في فوائد تكرير القصص**.

آراؤه التربوية:

أهمية المعلم في العملية التعليمية:

أدرك ابن جماعة أن المعلم أهم عنصر في نجاح العملية التعليمية ، فالتعليم عنده لا يتم بغير معلم . كما أن عناصر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح . ويرى ابن جماعة أن المتعلم لا يستطيع تحقيق أهدافه إلا إذا أحسن اختيار معلميه.

لذلك لا يصلح كل فرد للتعليم عند ابن جماعة ، وإنما يصلح له من تأهل تأهيلاً جيداً وأعد إعداداً طيباً .

كفاية المعلم للتدريس:

وابن جماعة محق في اهتمامه بنوعية المعلم، لأنه إذا توافر للمعلم المعرفة التامة بمواد التخصص التي يقوم بتدريسها لتلاميذه، والسيطرة على مختلف مهاراتها، وتوافر له حد من الثقافة العامة يعينه على توجيه المتعلمين ورعاية مصالحهم وارشادهم إلى مصادر المعرفة المختلفة، وتوافر له معرفة بطبيعة المتعلمين وتخصصهم، استطاع أن يقوم بوظائفه في العملية التعليمية بنجاح

ويوضح ابن جماعة أساليب النمو للمعلم بأنها القراءة والمطالعة، والبحث والتعليق والحفظ ، وطول الاجتماع بعلماء تخصصه وكثرة البحث معهم، والاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف متى امتلك مهارات البحث والتأليف.

ويحتاج المعلم في نظر ابن جماعة إلى قدر من الثقافة العامة إلى جانب إلمامه التام بتخصصه الأكاديمي. ذلك أن التعليم عند ابن جماعة يعني تثقيفا لعقول التلاميذ، وتهذيبا لنفوسهم، ومساعدتهم محلى اكتساب القيم .

ويرى ابن جماعة أن معرفة المعلم بتلاميذه من أهم عناصر كفايته ونجاحه في عمله . ويذهب ابن جماعة إلى أن معرفة المعلم بتلاميذه ينبغي أن تكون أ"شر من معرفة التلاميذ بأنفسهم، وذلك لما يتمتع به من الخبرة والعلم وسعة الفهم وبعد النظر.

صفات المعلم الجيد:

أ- الالتزام بآداب تعليم العلم : يرى ابن جماعة أن المعلمين أحق الناس بكريم الأدب وحسن الخلق. ويرجع اهتمام ابن جماعة بضرورة تحلي المعلم بكريم الخلق إلى تقديره لدور القدوة في التربية، حيث أنها أعظم وسائل التربية وأكثرها فعالية.

ويؤكد ابن جماعة أن حاجة المعلم إلى اكتساب الأدب لا تقل عن حاجته إلى اكتساب العلم والمعرفة.

ب- تنزيه العلم عن المطامع: من أهم الصفات الواجب توافرها في المعلم تنزيه العلم عن جعله وسيلة للحصول على أغراض ومطامع دنيوية. فالعلم في رأي ابن جماعة أجل من أن يستخدم في هذا الشأن، لذا يقول " ومن واجب المعلم أن ينزه علمه عن جعله سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو تقدم على أقرانه. ج- الرفق بالتلاميذ والصبر عليهم: يرى ابن جماعة أن المعلم الناجح هو الذي يعتني بمصالح الطلاب، ويعاملهم بما يعامل به أعز أولاده من الحنو عليه والإحسان إليه، فأنجح المعلمين في عمله هو أشدهم حبا لتلاميذه ورفقا بهم وتواضعا معهم. د- اتصال المعلم بالحياة الاجتماعية: يرى ابن جماعة أنه ليس أضر من الزهد في مصاحبة الناس والبلد عن حركة الحياة الاجتماعية. ويطالب ابن جماعة بتوثيق الروابط الاجتماعية بين المعلم وتلاميذه وذلك بزيارتهم في منازلهم والتعرف على أسرهم وعيادة مرضاهم و!ماء مصالحهم حين يحتاجون إليه. هـ- العدل والموضوعية في معاملة التلاميذ :يتميز المعلم الجيد بالبعد عن الهوى في معاملة التلاميذ. ودعا ابن جماعة إلى أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع تلاميذه، وكره له صفة التحيز ومحاباة البعض على حساب الآخرين لما يسببه ذلك في قلوب التلاميذ من نفور ووحشة وكراهية للمعلم وللتعليم في جملته. العناية بالمظهر العام: يحرص ابن جماعة على أن يعتني المعلم بمظهره العام، وأن يبدو لتلاميذه دائما بصورة طيبة من حيث نظافة ثيابه ونفسه وتطيبه دون مغالاة.

أساليب التعليم عند ابن جماعة:

أ – إثارة دافعية التلاميذ إلى التعلم. ب – مراعاة مستوى ذكاء المتعلم.

ج – الاعتماد على فعالية المتعلم ونشاطه. د – المرونة والتوازن.

هـ – العناية بالصحة العقلية للمتعلم.

تنظيم المنهج ومراحل التعليم عند ابن جماعة:

يرى ابن جماعة أن يقدم للطالب الأشرف فالأشرف ، والمهم فالأهم ، من ألوان المعرفة عند تنظيم المنهج . فيقدم تفسير القرآن الكريم ، ثم الحديث ، ثم أصول الدين ، ثم الفقه ، ثم المذهب ، ثم الخلاف ، ثم النحو.

دراسات عن مشكلات تعليم الدراسات الإسلامية في العالم الإسلامي

قد أجريت دراسات عديدة تتناول المشكلات والتحديات والعراقل التي تواجه تعليم الدراسات الإسلامية في العديد من بلدان العالم الإسلامي، ومنها ما يلي:

- الدورة الإقليمية حول البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية إربد/ الأردن 1-5 أبريل2001م، نظّمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو)، وفي ضيافة جامعة اليرموك، بهدف: توظيف البحث التربوي وآلياته وأدواته في تطوير عملية التدريس الجامعي في الدراسات الاسلامية، وتطوير قدرات المشتغلين في هذا الحقل في تناول مناهج وأساليب البحث العلمي بما يخدم أهداف تدريس العلوم الإسلامية، وإتاحة المجال أمام المشاركين لتبادل خبراتهم وتجاربهم المتعلقة بمدى تميز المنهجية الإسلامية في البحث والتفكير وخصوصيتها. شارك فيها 35 أستاذاً جامعياً وباحثاً أكاديمياً من عدد من الدول العربية وقد نوقشت في الندوة مجموعة من الأبحاث التي تناولت موضوعات المنهجية وتطبيقاتها، كما عقدت مجموعة من المشاغل التربوية حولها.
- قدم الدكتور فتحي ملكاوي ورقة عن "**المنهجية الإسلامية**".
- قدم الدكتور عبد الرحمن النقيب ورقة عن **العناصر الأساسية التي تتكون منها المنهجية**، منها العنصر المفاهيمي، والعنصر الفلسفي، والعنصر الأهم هو تحديد الإشكاليات والمعضلات الأجدر بالتناول.

– قدم الدكتور ناصر الخوالدة ورقة عن **منهجية البحث التربوي، وخصوصيتها في ميدان الدراسات الإسلامية في الجامعات**.

– قد رصد الدكتوران توفيق مرعي وماجد الجلاد في ورقتهما **سمات مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات**.

– قدم الدكتور شفيق العلاونة ورقة اهتمت بتفصيلات البحث المتعلق بـ **نشاطات التعليم والتعلّم الخاص بالدراسات الإسلامية**، أكد فيها على أن اعتماد التعليم الجامعي في

الجامعات الإسلامية على مفهوم"التعليم" يعدّ عائقا حقيقيا في النظرية التربوية الحديثة التي تعتمد على مفهوم "التعلم".

- قدم الدكتور خالد الصمدي ورقة حول **واقع وآفاق البحث في التقنيات الحديثة وتوظيفها في تدريس موضوعات الدراسات الإسلامية.**

- وقدم الدكتور محمد ذيبان غزاوي ورقة في موضوع **البحث المتعلق باستخدام التقنيات الحديثة في تدريس موضوعات الدراسات الإسلامية.**

- وأكد الدكتور أحمد عودة في ورقته حول **البحث التربوي المتعلق بتقويم تدريس الدراسات الإسلامية** أن التقويم عنصر أساسي في العملية التدريسية، ويتطلب معرفة متخصصة في مجال القياس والتقويم بشكل خاص، وأدوات البحث بشكل عام.

- وقد ألقى الدكتور عبد الجبار سعيد في ورقته الأضواء على **مدى تطبيق البحث التربوي على مادة "الثقافة الإسلامية".**

- بحث د.صالح دياب بعنوان: **دراسة تحليلية تقويمية لبرنامج إعداد معلم مجال التربية الإسلامية**، بكلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية. قدمه في المؤتمر العلمي التاسع- الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس القاهرة 29-31 يوليو 1997م. تكونت عينة الدراسة من 30 معلما ومعلمة.

- وقدم أ / فهد بن عبد الرحمن بن محمد البداح بحثه المعنون بـ " **مدى توفر الكفايات التعليمية لدى معلمي التربية الإسلامية بالمرحلة الابتدائية في المملكة العربية السعودية"**

لنيل درجة الماجستير، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة صنعاء، 2006م.

حيث أكد الباحث أنّ إعداد المعلمين ذوي الكفايات العالية له أهميته، وتأثيره على نوعية حياة المجتمع، ومستقبل أجياله، إن ذلك يتطلب قدرات، ومهارات ، وهذا يستلزم إعداداً علمياً مستقبلاً، ولهذا كانت في مقدمة ما اهتمت به المؤسسات التربوية الدولية والعربية والوطنية مسألة إعداد المعلمين، وتدريبهم إقراراً من تلك المؤسسات بالدور الأساسي للمعلم، وإسهامه في تنمية الإنسان، وتطور المجتمع الجديد، كما يتفق أغلب المربين على ضرورة أن يكون إعداد المعلم مرتبطاً بما ينبغي أن يكون عليه عمله بعد التخرج، وبما تتطلبه مهنته من كفاءات ومسئوليات ومهارات واتجاهات ومعلومات وأنماط سلوكية. وتكونت عينة البحث من (33)

من مشرفي التربية الإسلامية، و (87) من مدير المدارس الابتدائية، حيث بلغ مجموع العينة (120) كلهم يتبعون للإدارة العامة للتربية والتعليم بمدينة الرياض.

- ورقة بحثية مقدمة من قبل د.وائل معين إسماعيل، رحيمي محمد سعد، د.زواوي إسماعيل في المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الذي عقد في كلنتان ماليزيا 2010م، بعنوان **رفع مستوى اللغة العربية لدى معلمي التربية الإسلامية في ماليزيا: بعض المقترحات**- كلية التربية- جامعة ملايا- كوالا لمبور. أثبت فيها الباحثون ضرورة إجادة اللغة العربية بالنسبة لمعلمي الدراسات الإسلامية لكي يفهموا المواد التي يقومون بتدريسها جيدا، ثم يقومون بإفهام طلابهم إياها، لأن غير الفاهم يستحيل عليه الإفهام، ونتيجة لذلك سيكون المعلم ضالا ومضلا. واقترحوا مقترحات قيمة لرفع مستويات المعلمين المعنيين.

ما تقدم دليل قاطع على أن مشكلات تعليم الدراسات الإسلامية غير قاصرة على الدول الأعجمية فحسب، وإنما تشمل الدول العربية كذلك. و ما الدراسة الحالية إلا محاولة متواضعة من قبل الباحث في إلقاء الضوء على ما يجري في منطقة شرق أفريقيا بخصوص مشكلات تعليم الدراسات الإسلامية، واقتراح الحلول المناسبة لها، علّها تُعِين على استئصالها أو التخفيف من وطأتها، والمشكلات متنوعة ومتعددة منها ما يتعلق بـ:

أولا– المُعَلِّم:

- **عدم كونه رساليا:**

مِمَّا ينبغي أن يتَّسِم به من يتصدى لتعليم الدراسات الإسلامية في أي زمان ومكان **أن يكون رساليا يشعر بأنه حامل رسالة عظيمة**، تلك الرسالة التي حملها الأنبياء والرسل، رسالة إخراج الناس من ظلمات الشرك والشر إلى نور التوحيد والخير"العلماء ورثة الأنبياء...). **فالعالم العامل بعلمه يعد من ورثة الأنبياء الحقيقيين، ولا ريب أن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا من عرض الدنيا متاعا زائلا، ولا مالا فانيا، وإنما ورّثوا دين الله عز وجل القائم على العلم والحكمة، ومعرفة آيات الله في خلقه، وتزكية النفس وصلتها بخالقها، وتحليتها بمكارم الأخلاق**. العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا عن سيدنا نوح صبره على تبليغ رسالة

الله، وتحمله إيذاء قومه وإعراضهم عنه في سبيل الله، وهو قائم بالدعوة إلى الله مئات السنين دون كلل ولا ملل، ولا ضجر ولا قنوط. وورثوا عن سيدنا إبراهيم شجاعته وصموده أمام أعداء الله، وتضحيته بالحياة واستهانته بالموت في سبيل إعلاء كلمة الله. وورثوا عن سيدنا موسى قوته وأمانته، وعفته ونزاهته، ودعوته لإنقاذ قومه من الظلم والاستعباد، ورفقه بهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الطواغيت إلى عبادة الله الواحد القهار. وورثوا عن سيدنا عيسى روحانيته وقربه من الله، وذكره وصلته الدائمة بالله، وصدقه ورحمته، وسمو نفسه ورفعتها ومحبتها لجميع خلق الله. وورثوا عن خاتم النبيين سيدنا محمد وعليهم أجمعين الخلق العظيم، والرحمة للعالمين، والصفوة من الشرع والدين القويم. ورثوا عنه صبره وحلمه، وجهاده ونضاله، وعرض نفسه ودعوته على الناس في سبيل نشر دين الله، مقتحما الأخطار، غير مبال بتهديد ولا إيذاء ولا استنكار، غير آبه بإغراء بمنصب أو مال أو جمال، وهو يقول كلمته التاريخية المشهورة: والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أرجع عن تبليغ رسالة ربي ما رجعت حتى ينفصل رأسي عن كتفي رواه البيهقي عن ابن اسحاق .

هؤلاء العلماء هم الذين عقلوا عن الله دينه، وفهموا مراده من رسالته إلى خلقه {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت: 43) ، فاستقرّ نور الكتاب بين ثنايا صدورهم، وانطبعت معاني الآيات في أعماق قلوبهم {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} (العنكبوت: 49) .وبذلك ارتقوا في مقامات الصالحين، وارتفعوا إلى مصافّ المقربين {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (الذاريات:11)، وشتان ما بين هذه المنزلة الرفيعة، ومنزلة الغفل الجاهلين، والمعرضين الزاهدين {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الزمر:9).

هؤلاء العلماء هم مصابيح الهدى التي تدل الناس على منهج الله، وترشدهم إلى دين الله، وهم منابع الخير والسعادة والفلاح، يملؤون العقول بالعلم والحكمة، ويهذبون النفوس ويزكونها بمراقبة الله وذكره على الدوام، وينشؤون الجيل القوي بعقيدته، الكريم بأخلاقه، النافع لأمته، المخلص في بناء وطنه، فهم روح الأمة وكنزها الأكبر.

قال أحمد شوقي أمير الشعراء :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

رد الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان –وكان معلما للغة العربية لفترة طويلة– على صديقه أمير الشعراء أحمد شوقي رد المجرب للعملية التعليمية، قائلا:

شوقي يقول وما درى بمصيبتي ** قم للمعلم وفه التبجيلا
ويكاد يقلقني الأمير بقوله ** كاد المعلم أن يكون رسولا

وهذا يقتضي **أن يكون المعلم قدوة حسنة**، ونموذجا صالحا يقتدى به، وأسوة حسنة يتأسّى به، **يفعل ما يقول، فلا يختلف عمله عن قوله، يعلم فيعمل بما علم ويتبعه، لا يأمر بشيء ولا يفعله، ولا ينهى عن شيء ويفعله**، يقول المولى تبارك وتعالى: {**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**}(الصف:2-3) ويقول أيضا: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} (البقرة:44). ويقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: "**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**". (رواه الطبراني). ويصدق عليه ما قاله الصحابي الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه حيث قال : ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ثم لا يعمل سبع مرات. وقال سفيان بن عيينة: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه. ولا فضّ فو أبي الأسود الدؤلي حيث يقول:

يا أيُّها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضَّنا كيما يصحُّ به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد عديم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى بالقول منك وينفع التعليم

ولا يكون ممن إذا سأله سائل: لماذا تفعل هذا، وقد علَّمت الناس بأنه حرام، يردّ قائلا: لا تقلدوا أعمالي، واتبعوا أقوالي وتعاليمي، فأنا بشر عادي، لست بملَك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولست بمعصوم!!!

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي:

فساد كبير عالم متهتك وأكبر منه جاهل متنسك

هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك

وقد قيل: إن عمل رجل في ألف رجل، أبلغ من قول ألف رجل في رجل.

وأن يكون ذا نية خالصة وقصد صادق: فالنية الصحيحة مطلوبةٌ في كل قربة يُرجى ثوابها عند الله، ومن ذلك التعلُّم والتعليم، ويتأكد ذلك في علوم الشرع، والنية تحتاج إلى مجاهدة في تحصيلها واستصحابها، وإلى مدافعة أضدادها ومفسداتها، والنية هي سبب قبولٍ وتوفيق، وحصول بركةٍ وتسديد، وقد افتتح الإمام البخاري وبعض الأئمة مؤلفاتهم بحديث إنما الأعمال بالنيات، وهي تدخل كما قال الإمام الشافعي في سبعين باباً من أبواب الفقه [جامع العلوم والحكم . ابن رجب الحنبلي ص:5] ، والعدد للتكثير لا للتحديد والاستقصاء.

فعلى المعَلِّم أن يتحرى بعلمه وتعليمه وجه الله تعالى والدار الآخرة، لا مباهاة العلماء، أو مماراة السفهاء، أو مجاراة الأغنياء، أو مداهنة الأمراء، وفي الحديث: أول مَن تُسَعّر بهم النار ثلاثة نفر؛ باذلٌ للمال، وطالب للعلم، وخارج للقتال، لكنهم لم يقصدوا بأعمالهم إلا وجوه الناس وثناءهم، وقد وجدوا ما قصدوا إليه، فحرمهم القبول والثواب [انظر: صحيح مسلم1513/3 كتاب الإمارة ح: 1905.] وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار" [سنن ابن ماجه 93/1 المقدمة ح:254 قال في الزوائد: رجال إسناده ثقات. وانظر: مستدرك الحاكم 86/1 كتاب العلم].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله وسلم: "من تعلَّم علما مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرْف الجنة يوم القيامة" [رواه الحاكم في مستدركه 85/1 كتاب العلم وصححه، وأبوداود في سننه 71/4 كتاب العلم ح:3664، وابن ماجه في سننه 93/1 المقدمة ح:252] وعرف الجنة: ريحها.

مع ملاحظة أن الوعيد يلحق- كما يفهم من الحديث- مَن قصد بعلمه الدنيا ومحَّض لذلك نيّته من غير التفاتٍ للآخرة، أما من أراد بعلمه الآخرة وأصاب مع ذلك شيئاً من الدنيا فلا يلحقه الوعيد، وقد تحدث الفقهاء عن جواز التشريك في النية كما في الحج: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) [سورة البقرة: 198] (ليشهدوا منافع لهم) [سورة الحج: 28]. ففرقٌ بين مَن يأخذ الدنيا ليتفرغ لعمل الآخرة، وبين من يعمل عمل الآخرة ليأخذ الدنيا، فتأمل؛ فإنه موضع الزلل [انظر: المرقاة شرح المشكاة . الملا علي القاري 287/1]. فالحديث إنما يَذُمّ مَن قصد الدنيا، لا من جاءته الدنيا بغير هذا القصد. والقرآن ذم من (طغى وآثر الحياة الدنيا) [سورة النازعات: 37] و(من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) [سورة النجم: 29] و(من كان يريد العاجلة) [سورة الإسراء: 18] في مقابل (من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن)[سورة الإسراء: 19]. والدنيا لا تُذَمّ إلا إذا قُصدت بعمل وعلم الآخرة، وكيف تُذَمّ الدنيا لذاتها وهي مزرعة الآخرة؟ ولهذا قال العلامة القاري في المرقاة: "أفهم الحديث أن من أخلص قصده فتعلم لله، لا يضره حصول الدنيا له من غير قصدها بتعلمه، بل مِن شأن الإخلاص بالعلم أن تأتي الدنيا لصاحبه راغمة.." [المرجع السابق 288/1].

وللعلامة الدكتور يوسف القرضاوي إشارة نفيسة [انظر: كتابه: الرسول والعلم ص: 97-98. وقد أفدت من الكتاب في مواضع غير هذا]: وهي أن كثيراً من طلاب العلم في عصرنا لا يتجهون إلى العلم بنيّة مبيتة، بل يوجههم إليه . في صغرهم . آباؤهم، أو مجموع درجاتهم، أو ظروفٌ خاصة بهم مثل ألا يكون في البلد إلا لونٌ معين مِن الدراسة يُفرض عليهم، ثم لا يلبثون إذا أدركوا أن يجدوا أنفسهم في معهدٍ ديني، أو كليةٍ شرعية، ولو خُير اليوم ما اختار هذا الطريق فهذه دراسة بلا نية، لأن النِيّة مع الاختيار، ولهذا ينبغي لمن وضعته الأقدار في هذا الموضع أن

يجدد نية صالحة ورغبةً صادقةً، وسيجد مِن العلم الذي يعيش في ظلاله، وصحبة أهل الخير في سيره، ما يُعينه على تصحيح النيّة. وقد رووا عن مجاهد قال: "طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله بعدُ فيه نيةً" [سنن الدارمي 101/1] وعن الحسن والثوري قالا: "كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة" [جامع بيان العلم. ابن عبد البر ص: 308،309].

ومثله يقال فيمن اتجه إلى مهنة التعليم مِن غير رغبة، بل لواحد من الأسباب التي أشار إليها الدكتور القرضاوي، خاصّة ضعف المعدل، حيث يتجه إلى تخصصات دون طموحه وآماله، فمثل هذا يحتاج إلى تجديد النية حتى يُقْبَل عمله، ويُبَارَك له فيه، ويكون أقدر على العطاء والنماء والتجويد والإبداع والابتكار، فالرغبة عاملٌ مهم في ذلك كله.

يعلم أن التعليم رسالة وتكليف، لا مجرد وظيفة وتشريف: المعلم الرسالي يعي دوره تماماً، ويتحرك بدافع ذاتي داخلي معتبراً مهمته عبادة يؤديها، ورسالة يسعى لتحقيقها، وهو حريص على ذلك سواء في هذا المجال الرسمي أو في مجالات أخرى، فما المدرسة أو الجامعة إلا وعاء يسره الله تعالى له ليؤدي هذا الواجب من خلاله، وبالتالي فهو لا ينقطع عن هذه المهمة مهما تغيرت الأوعية، واختلفت التخصصات، فيوسف عليه السلام كان داعياً إلى الله تعالى وهو في بيت العزيز عسيفاً، وفي الحبس سجيناً، وفي الملك وزيراً، تغيرت أوضاعه وأحواله ولم يثنه ذلك عن أداء واجبه الرسالي.

إن مهمة المعَلِّم الرسالي لا تنتهي ولا تتوقف أبداً؛ لا بإحالته إلى التقاعد ولا بنقله إلى مكان آخر، أو تغريبه بعيداً عن أهله أو وطنه، بل ولا بفصله عن وظيفته، فهو كالغيث أينما وقع نفع، ومن ثمرات هذا الخُلُق؛ أنه لا يعذر نفسه وإن كان معذوراً، فلا يهرب من مهمته مستغلاً الأعذار وإن كانت معتبرة، أو مستفيداً من القصور الذي قد يعتري بعض الأنظمة واللوائح. بل لو كانت هناك فجوات في الأنظمة فهو يستغلها لصالح مهمته، وتحقيق رسالته، فهو يشعر أنه على ثغرة مهمة وخطيرة يخشى أن تغرق السفينة مِن خلالها، فيرى مِن نفسه أنه في مقام المسئول وإن كان غير ملوم لو نأى بنفسه عن هذا كله، لكن شخصيته الرسالية وهمته العالية تأبى عليه ذلك، فالسفينة سفينته، وينبغي أن يعمل على استنقاذها والنجاة بها، ومن ثمراته. أي هذا الخلق. أنه إذا أصاب المؤسسة التي يعمل فيها فشل أو قصور. وإن لم يكن متسببا فيه. تجده يهتم لذلك ويغتم، ويشعر أن المصاب يشمله أيضا، كما أنه يفرح ويسر إن نالها نجاح

وتفوق وإن كان من غير جهته، وبذا يكون قد خلَّص قلبه من دائين خطيرين هما؛ الحسد والشماتة، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ذكر عن نفسه خصالاً منها؛ أنه يفرح بالغيث يصيب داراً للمسلمين وربما ليس له فيها سائمة، وبالحاكم العادل وربما ليس له به حاجة.

أما المعَلِّم غير الرسالي فملتزم بالعقد الذي بينه وبين مستخدميه، لا يُقيل ولا يستقيل، مستفيداً من كل ثغرة، مستغلاً لكل غفلة، لا يهمه ولا يشغله ما يحصل لمؤسسته ما دام بعيداً عن المحاسبة والمؤاخذة الإدارية.

ويحمل همّ الأمّة: المعلم الرسالي يتفاعل مع قضايا أمته الآنية والملحة، وما أكثرها، وهو أيضا يتفاعل مع قضايا مجتمعه الصغير والكبير خارج أسوار المؤسسة التعليمية، غير منقطع عنها، بل هي حاضرة في ذهنه، تتقدم اهتماماته، لا يكاد يغفل عنها وهو يؤدي واجبه الوظيفي تجاه طُلابه في أي فرع من فروع المعرفة، وعند لقائهم خارج قاعة الدرس، يخلط فنه ودرسه بهذه الهموم ويوجههم إلى الاهتمام بها، والتفاعل معها، وتلمّس أفضل الحلول لها، وهذا ديدنه أيضا عند لقائه زملاءه ومسئوليه.

أما المعَلِّم غير الرسالي فينتهي واجبه في حدود إلقائه الدرس على النحو الذي يحقق الفائدة العلمية المرجوة منه وكفى، فهو ملتزم بقاعة الدرس مكاناً وزماناً وهموماً. ، **يعطي غير مترقب للثناء:** المعلم الرسالي لا يربط بين جهده وعطائه وبين ما يحصل عليه من مردود مادي أو معنوي، مثل الراتب والحوافز المعنوية، فلا علاقة بين الأمرين في سيره نحو تحقيق هدفه الرسالي، لا يؤثر ما يتعاطاه على ما يبذله نحو طلابه، لأن هذه مهمته الأساس؛ تعليم الناس الخير، وطَّن نفسه عليها، وسخَّر طاقاته وإمكاناته لها، غير ملتفت لتثبيط مثبِّط ولا تشجيع مشجِّع، بل لا يؤثر ما قد يحدث بين المعلم وإدارته مِن مشكلات على علاقته بطلابه، وجهده معهم، إذ لا صلة لهم بما قد حدث.

ومن ذلك أنه لا يحرص على المناصب الإدارية ولا الألقاب العلمية لأنها قد تكون غلاً يعوقه عن السير، إلا إذا كان في ذلك عوناً له على أداء مهمته، والتمكين لرسالته، (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) [سورة يوسف: 55] فوجوده في المناصب العليا لا يعني إلا مزيداً من التكليف والعبء، كما أن وجوده في المناصب الدنيا لا يعفيه عن الشعور بالمسئولية،

فالمناصب والألقاب عنده سواء، فلا خير فيها إن هي حجبته عن أداء مهمته، وشغلته عن تحقيق رسالته، فلا يغريه العطاء، ولا يوقفه الجفاء، بل هو كما جاء في الحديث: "طوبى لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله أشعثَ رأسه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفَّع" [من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري6/95-96(الفتح) كتاب الجهاد ح:2887] ومن علامات صدقه وصحة عزمه أنه مواصل لسيرته العملية وإنتاجه العلمي مهما نال من ألقاب، وتبوأ من مواقع.

أما المعلم غير الرسالي فقد جعل غايته مِن المهنة المردود المادي والمعنوي فحسب، ولو حرص على أداء المهنة على الوجه المطلوب وظيفياً فلأجل ما يتعاطاه ليس وراء ذلك شيء، إن زادوا اجتهد وبذل، وإن أمسكوا قصّر وأهمل.

يعتني بمظهره: فمما ينبغي العناية به الحالة التي يظهر عليها المعلم أمام طلابه، فالمعلم الرسالي يهتم بحسن سمته، وجمال مظهره، من نظافةٍ وتأنقٍ وتناسقٍ وطيب رائحة، بعيداً عن الإسراف وملتزماً حد الاعتدال، فذلك أدعى للقبول والتقدير له، وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً هل ذلك من الكبر؟ فقال: إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس [رواه مسلم في صحيحه 1/93 كتاب الإيمان ح: 91] وفي فهرس الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي [1/372 وما بعدها]: باب في إصلاح المحدث هيئته وأخذه لرواية الحديث زينته، جاء تحته المباحث التالية:

البدأُ بالسواك، وقص الأظافر إذا طالت، والأخذ من الشارب، وتسريحه لحيته، ويسكِّن شعث رأسه، ويتجنب ما كُرِه ريحه، وغسل الثوب إذا اتسخ، وكراهة لبس الثوب الخَلِق وهو يقدر على الجديد، وبخوره ومسّه من الطيب، ونظره في المرآة... ا.هـ

وليكن ذلك سمته دائماً، لا قصراً على وقت الدرس ومكانه، لأن طلابه ربما يلتقونه خارج قاعة الدرس؛ في سوق أو حفل أو غيره.

وأرى أيضا من تمام الاهتمام بحسن المظهر: المسكن الذي يسكنه، فلا يسكن إلا في مكان لائق ما دام قادراً على ذلك، فإن طلابه وزملاءه ربما يزورونه فيه، فليختر لنفسه ما يرفع قدره في نفوسهم، ومثله يقال في الأدوات التي يستخدمها أن يهتم بنوعيتها ونظافتها دون تكلف ولا مباهاة.

يلمّ بمادته (تخصصه): الاهتمام بالتخصص والعناية به والسعي لبلوغ الذروة فيه ينبغي أن يكون من شأن المعلم الرسالي، لأنه سيكون مرجعاً لطلابه يسألونه ويستفتونه به، ويلتزمون بما يمليه عليهم ويوجههم إليه، وينقلون هذا عنه إلى غيرهم مِن زملائهم أو طلابهم حينما يتصدون للتعليم فيما بعد، فلا بد من العناية بهذا الأمر عنايةً فائقةً والتأكد من صحة المعلومات وصحة العلاقة بينها وبين النتائج المستنبطة منها، وقد سُئل سفيان بن عيينه: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم؛ لأن الخطأ منه أقبح [جامع بيان العلم ص: 156].

ونحن نعيش في عصر تميز بمراعاة التخصص الدقيق، وشرعنا أيضا يهتم بالتخصص ويوليه عناية فائقة، فمن ذا الذي يحيط بأنواع العلوم كلها؟! قال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [سورة النحل: 43] وقال تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [سورة النساء: 83] وقال صلى الله عليه وسلم: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" [رواه الترمذي في سننه 330/5 أبواب المناقب ح:3879 ، وهو في مسند الإمام أحمد 252/20 ح:12904 قال محققه: إسناده صحيح، وانظر: 406/21 من المسند ح:13990، وسنن ابن ماجه 55/1 المقدمة ح: 154]. والعناية بالتخصص لا يعني إهمال التخصصات الأخرى لا سيما ذوات العلاقة، بل لا بُدّ مِن الحصول على قدر ما يخدم التخصص حيث يُقدم لطلابه نسيجاً متناسقاً يشد بعضه بعضاً، بعيداً عن التنافر والتناقض.

أن يكون معدًّا إعدادا علميا وفنيا، إذ ليس كل من درس الدراسات الإسلامية صالحا أن يكون معلما لها، فالدراسة شيء والتدريس شيء آخر. وثمة واجبات فنية على عاتق المعلم، ألا

وهي: **التخطيط، والتنفيذ، والتقويم** (مناهج اللغة العربية، د. محمد إبراهيم الخطيب، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع 2009م، ص .105). **وأن لا يتمسك بطرائق التدريس التقليدية، فالتدريس فن يحتاج إلى مهارة وحذق ومواكبة،** فلا ينبغي أن يتجرأ على تدريس الدراسات الإسلامية إلا من كان كفءا لذلك، والمعلوم من العملية التعليمية بالضرورة أنه ليس كل من تعلّم شيئا بصالح لتعليم ذلك الشيء، فالتعلُّم هو الخطوة الأولى، تليها كيفية تبليغ المادة المتعلَّمة إلى الآخرين، وهذا هو فن التدريس، حيث يتطلَّب الموقف التعليمي التفنن في تبليغ المادة مع مراعاة ظروف المخاطبين. معظم معلمي الدراسات الإسلامية يلجأون إلى أسلوب التلقين والحفظ بحيث يحفظ الدارسون دون أن يفهموا ما يحفظون، وأحيانا لا يستطيعون قراءة النصوص المكتوبة، كما أنهم في الغالب لا يتدربون على كتابة النصوص التي يرددونها. ولذا يفاجأ المعلم بأن الطالب إذا طلب منه أن يقرأ، فهو يقرأ من رأسه، لا من النص المكتوب لأنه عاجز عن الربط بين المكتوب والمقروء. ومن الأساليب التي يغفل عنها الكثير من معلمي الدراسات الإسلامية أسلوب التعلُّم الذاتي الذي يربي الدارس ويدربه على الاعتماد على تطوير نفسه، ويصير دور المعلم حينئذ دور الموجه والمرشد، ولا يكون الدارس مستقبلا مؤمِّنا إمَّعة لا رأي له ولا استفسار، ولا تعليق، بل تثبت له فرصة المناقشة والابتكار والانتقاد. وبهذه الطريقة نستطيع أن ننتج جيل المفكرين في المستقبل. **وأن لا يهمل الوسائل التعليمية المعينة:** والوسيلة تعني كل ما يستعين به المدرس على تقديم الخبرات وتحقيق الأهداف، وتقويم النتائج. وهي نوعان: **حسية** (ذوات الأشياء، ونماذجها، المصورات الجغرافية، والرسوم البيانية، والأشكال، والسبورات، واللوحات، والكتب، الإذاعة المرئية والمسموعة، المعارض والمتاحف، والرحلات، والمختبرات... **ولغوية** (الكلام المكتوب والمسموع، والنص المكتوب والمقروء، الشرح، الأمثلة والموازنة والتشبيه...، والوسيلة الجيدة هي التي تناسب المادة التعليمية، والموقف التعليمي، ومستوى الطالب، تكون واضحة وسهلة، تمكِّن المعلم والطالب من المشاركة، وتوفر الوقت والجهد، فالرسول المربي صلى الله عليه وسلم قد استخدم وسائل تعليمية متنوعة ما بين بصرية وسمعية بصرية، بما يتناسب مع مقتضيات الموقف التعليمي، وفي حدود الإمكانات المتاحة حينئذ. ومن تلك الوسائل الإشارة بالأصابع، والإشارة باليد، والإشارة باليدين معًا، والتشبيك بين الأصابع، والإشارة إلى الوجه والكفين، والإشارة إلى الفم، والإشارة إلى السمع

والبصر، والإشارة إلى الصدر، والإشارة إلى الحلق، والإشارة إلى اللسان، واستخدام العصا، والرسم على الأرض... وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مشروعية استخدام تلك الوسائل وما في معناها في تدريس الدراسات الإسلامية الدين وغيرها من المواد الدراسية، لما في استخدام الوسائل التعليمية من مزايا وفوائد تساعد على نجاح المربي في أداء رسالته التعليمية التربوية، ولأن الله عز وجل قد جعل رسوله الكريم أسوة حسنة للمسلمين أجمعين. فحري بالمربين المسلمين التأسي بهديه في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، والاستخدام الأمثل لوسائل التعليم.

إن كثيرا من معلمي الدراسات الإسلامية لا يهتمون بالوسائل التعليمية الملائمة لتعليم مواد الدراسات الإسلامية، ويغفلون عن أهمية استخدامها وفوائدها من خلال تأثيرها العميق، وأنها تكمن في العناصر الرئيسية الثلاثة من العملية التعليمية (المعلم ، والمتعلم ، والمادة التعليمية).

وهاكم أهم أهداف استخدامات الوسائل التعليمية، وهي: استثارة الطلاب، والتغلب على اللفظية وعيوبها، حيث تعين على فهم معنى بعض الألفاظ من خلال تزويد التلاميذ بأساس مادي محسوس لتفكيرهم، و ترسيخ المعلومات وتعميقها، حيث تقدم للتلميذ خبرات حية قوية التأثير فالمتعلم، والتنويع والتجديد، فهي تتيح فرص التجديد والتنويع في الأنشطة مما يدفع الملل والسأم والرتابة عن نفوس التلاميذ، والتغلب على الحدود الزمنية والمكانية حيث إنها تقرب المسافة الزمانية والمكانية وتجعل المتعلم قادراً على مشاهدة تفاصيل ودقائق يستحيل عليه مشاهدتها بغيرها مثل الأفلام التصويرية للبحار، والاستكشافات العلمية والنمو لدى الكائنات ، وتحويل المعلومات النظرية إلى أنماط سلوكية، إن الحصول على المعلومات وحفظها ليس غاية وهدفاً إنما هو وسيلة إلى غاية يسعى إلى تحقيقها ولذلك فإن معرفتنا أن الأمانة فضيلة وسمة من سمات المؤمن لا يكفي بل على المتعلم بعد معرفته لها أن يترجم هذه المعرفة إلى نمط سلوكي في حياته، و توفر الجهد والمال والوقت، وتقوية العلاقة بين المعلم والمتعلم، فاستخدام المعلم الوسائل التعليمية يقربه إلى الطلاب، ويحببه لهم مما، يقوي ثقتهم بمعلمهم، والمساعدة على تدريب الحواس وتنشيطها وتيسير عملية التعلم، وتسهيل المعلومات وتيسير عملية التعلم، وتنمي في المتعلم حب الاستطلاع، وتسهم في تعليم أعداد متزايدة من التلاميذ، خاصةً في هذا الوقت الذي يعيش فيه الناس انفجاراً سكانياً... **وخلاصة القول أنه يجب على المدرس**

أن يكون مبتكرا للوسائل التعليمية الهادفة والمفيدة، وأن يسأل نفسه هذه الأسئلة دائما: متى؟ كيف؟ لماذا؟ أين يستعمل الوسائل التعليمية؟ ليتجنب الإفراط والتفريط في الاستعمال لأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج سلبية! ومن أهم الوسائل التعليمية المتاحة الكتاب التعليمي المقرر حيث لاحظ الباحث أن معظم الكتب التعليمية المستخدمة في تدريس الدراسات الإسلامية كتب قديمة تقليدية في إخراجها الفني غير مزينة ومزخرفة بصور أو رسوم توضيحية، الكتب التي درسها أجدادنا وأجداد أجدادنا منذ أكثر من مئة سنة ماضية لا تزال هي نفسها مستخدمة في هذا العصر، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما يدرس المدرس مناسك الحج أن يأتي بخريطة العالم، وصورة المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والصفا والمروة، وغيرها، ثم من الأحسن أي يوضح بالفعل كيفية الطواف حول الكعبة أيشبه دوران عقرب الساعة أو عكس ذلك! أضف إلى ذلك أن الكتاب بال ممزق منفِّر، حافل بالمعلومات، وهو خال من التدريبات التي تعد وسيلة تعزيزية فعالة في العملية التعليمية، وأكثر هذه الكتب عبارة عن متون يحتاج الدارس إلى شرحها أو شرح شرحها(الحواشي أو الهوامش) حتى يتمكن من فهمها، ككتاب عمدة السالك وعدة الناسك، و أقرب المسالك في مذهب الإمام مالك... هذه التدريبات هي التطبيقات العملية، وهي ثمرة العلوم، والغاية التي يصبو إليها طلاب العلم، والهدف الذي يرمي إليه الأساتيذ والمربون.

وهو أيضًا يعدل بين تلاميذه وطلابه وينصفهم: المعلم الرسالي يحترم آداب المهنة وأخلاقياتها، ويقوم بالعدل والقسط، لا يرده عن ذلك عداوة ولا صداقة: (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [سورة المائدة: 8]. فلو أراد أن يعاقب الطالب على تقصير وقع فيه فعلى قدر التقصير لا يتجاوزه إلى التشفي والانتقام، وللأسف الشديد يذهب أحياناً بعض الطلبة خاصةً في مرحلة الدراسات العليا ضحية التهارش والتنافس غير الكريم بين بعض الأساتذة في المناقشات العلمية في أمور لا ناقة للطالب فيها ولا جمل، بل هو مجرد صراع شخصي أو مدرسي أو مذهبي.

وحينما نصف المعلم الرسالي بالأوصاف العليا والسمات النبيلة ونطالبه أن يكون مثلاً يحتذى

وقدوة صالحة لطلابه؛ فهذا لا يعني أن يكون ذلك على حساب المهنة بحيث يعطيهم من التقييم فوق ما يستحقون، ويدفعهم إلى مواقع لا تؤهلهم قدراتهم العلمية لها، فهنا لا محاباة ولا مداراة بل القسط القسط، كما أنه لا ظلم ولا غمط لحقوقهم، فالعدل قامت عليه السموات والأرض، ويصلح عليه أمر الكون وأمر الناس، وقد سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة أي عن وقتها، فقال: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال السائل: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" [صحيح البخاري 171/1 كتاب العلم ح: 59].

عدم الجزع وضيق الصدر: ينبغي أن يتحلى معلم الدراسات الإسلامية بالصبر في التعامل مع طلابه، فكثير من معلمي الدراسات الإسلامية- أرشدهم الله- لا يملكون من الصبر شيئا، فتجدهم ذوي الصدور الضيقة، يثورون لأتفه الأسباب، ويهيجون هيجان الأمواج، وينفجرون انفجار البراكين، ويعبسون في وجوههم من شدة الغضب، بمجرد أن يغضبهم الطلاب ويستفزُّوهم، ولله در محمد الأسمر القائل:

" يا قلب، رفقا بالجوانح واتئد   فلشدّما أمعنت في الخفقان
أوكلما جاءت إليك مساءة   من أصدقائك بت كالبركان
هون عليك فلست أول من   شكا خلا وردد حكمة الذبياني
مضت السنون ولم تجئ بمهذب   إن الكمال المحض للرحمن

وكأنما قد قامت القيامة، على الرغم من أنّ المفروض أن يكونوا كالأطباء يحلُمون، ويصبرون، ويتحمّلون، ويقول بشّار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا   صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه   مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى   ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه!

وأحيانا قد يؤذي بعض المتعلمين معلميهم لأنهم جهلاء لا غير، والحقيقة أنهم لو كانوا علماء لما جاءوا ليتعلموا... وأحيانا يلعن المعلم طالبه، ويسبه، ويشتمه، أو يناديه: يا حمار! يا كلب!

يا جحش! وكثير من معلمي الدراسات الإسلامية يلجأون إلى الأسلوب العسكري في زجر طلابهم وردعهم، فلا يتكلمون بألسنتهم بل بعصيِّهم!!! فيتربى طلاب الدراسات الإسلامية على الخوف من العصا! فيا ترى، أبهذا الأسلوب نبني أو نهدم؟!

القدرة على استكشاف المواهب ومراعاتها: أي أن يكون معلم الدراسات الإسلامية قادرا على أن يستكشف المواهب ويرعاها: ومما لا شك فيه أن هناك فروقاً فردية بين الطلاب الجالسين في مقاعد الدراسة، قد تضيق وقد تتسع، والمعلم النابه من يلحظ هذه الفروق، فيعطي كلاً حسب حاجته وقدراته وميوله، مع رعاية العدل والإنصاف، وتجنب الجور والإجحاف، ومع ذلك لا بد من تلمّس معالم النبوغ في الطلاب ليوفر لهم مزيداً من العناية والرعاية، وذلك بإعطائهم جرعات خاصة من العلوم، وتوجيههم بما يصقل مواهبهم، وينمي قدراتهم، ويزكي ميولهم، خدمةً لهم ولأمتهم من ورائهم.

والنبوغ ليس قصراً على التفوق في استظهار الدروس، وحل المسائل العلمية، بل النبوغ في جوانب شتى ومتنوعة؛ من شِعر وفصاحة وخطابة أو قدرات علمية وإبداعية أو إمكانات قيادية إلى غير ذلك من أنواع النبوغ، وكلها تحتاج إلى معلم فطن، وإن كان لا يستطيع متابعة بعض هذا الجوانب وقد أمكنه اكتشافها وتلمسها، فلا عليه أن يسندها إلى أهل الخبرة والاختصاص من زملاء المهنة.

جاء في كتاب أدب الدنيا والدين: "ينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه، أو يضعف عنه ببلادته، فإنه أروح للعالم، وأنجح للمتعلم، وقد روى ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسُّم... وإذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة، وكان بقدر استحقاقهم خبيراً لم يضِع له عناء، ولم يخب على يديه صاحب، وإن لم يتوسمهم، وخفيت عليه أحوالهم، ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه في عناء مُكْدٍ، وتعب غير مُجْدٍ؛ لأنه لا يُعدم أن يكون فيهم ذكي محتاجٌ إلى الزيادة، وبليدٌ يكتفي بالقليل، فيضجر الذكي منه، ويعجز البليد عنه، ومن يردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم" [أدب الدنيا والدين ـ الماوردي ص:90].

وقد قال أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم: "من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوَّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث" [صحيح البخاري 418/11 كتاب الرقاق ح: 6570].

وأنت تأسف أشد الأسف حين ترى الغرب يهتم بالنابغين والنابهين، بل بالمعوقين والعاجزين من الناشئين والشباب، في مقابل الإهمال الذريع في عالمنا الإسلامي لأمثال هؤلاء، بل قد تجد الإحباط والتثبيط، ولو علم بهم الغرب لوجدوا منه العناية والرعاية، ثم الإفادة منهم في بناء حضارته ومدنيته. نشكو الظلام وفي يدنا المصباح، ونموت عطشا وبيننا تجري الأنهار:
كالعيس في البيداء يقتلها الظما =والماء فوق ظهورها محمول

وأنْ يراعي الفروق الفردية: فمما ينبغي على المعلم الاهتمام به مراعاة الفروق بين طلابه وهو يعلمهم ويربيهم ويعدهم للمستقبل، مع أن هذا الأمر قد كفلته المناهج النظامية، لكن مع ذلك تظل قضية الفروق الفردية قائمة، في القاعة الواحدة والمرحلة الواحدة، فلا بد من الانتباه لها، ومراعاتها لتحقيق أكبر مصلحة في التعليم والتوجيه والإفادة من ذلك، أما خارج الأطر النظامية فأمر مراعاة الفروق الفردية أو الجماعية آكد، كما في دروس المساجد والمحاضرات العامة والخطب والمواعظ.

فينبغي على المعلم والداعية أن يعطي الناس ما يناسب مستوياتهم، وعقولهم وإدراكهم، ويمس حاجاتهم وواقعهم، ويكون أنفع لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا كان المعلم الأول صلى الله عليه وسلم يراعي ذلك في دعوته وتعليمه، حيث كانت تختلف وصاياه وأجوبته باختلاف أحوال السائلين والطالبين، فيوصي بعضهم بالعبادة وترك الشرك، وآخرين بالصلاة والزكاة، وآخرين بحسن الخلق، وآخرين بمجانبة الغضب، كما أنهم يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أي الأعمال أفضل؟ فيجيب بعضهم بأنه الإيمان بالله ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجيب آخرين بأنه الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، وآخرين بأنه

إطعام الطعام وإفشاء السلام، وهكذا، "ولا تفسير لهذا الاختلاف في الجواب مع اتحاد السؤال، إلا مراعاة أحوال السائلين، وما بينهم من فروق يجب اعتبارها". وقد يختلف الجواب عن السؤال الواحد في القضية الواحدة في المجلس الواحد، كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شاب فقال: يا رسول الله أُقَبِّل وأنا صائم؟ فقال: لا. فجاء شيخ فقال: يا رسول الله، أُقَبِّل وأنا صائم؟ قال: نعم. فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد علمت نظر بعضكم إلى بعضكم. إن الشيخ يملك نفسه [المسند . جزء 11 ح:7054 قال شاكر: إسناده صحيح، مع أن فيه ابن لهيعة. وانظر ح: 6739 وتعليق المحقق]. وتختلف مواقفه صلى الله عليه وسلم باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم، فيعامل الأعراب بما لا يعامل به أصحابه الملازمين له؛ فيغتفر لأولئك ما لا يغتفر لهؤلاء، ويتألف قلوب مسلمة الفتح وزعماء القبائل بما لا يصنع مثله مع السابقين من المهاجرين والأنصار، ويغطي فخذه عند دخول عثمان ولم يفعل ذلك مع أبي بكر وعمر، وإن دخل عليه كريم قوم أكرمه، وإذا دخل عليه سفيه أو شرير داراه بطلاقة الوجه أو بكلمة طيبة . دون مداهنة أو مدح بالباطل . تألفاً له، واتقاءً لشرّه، وتختلف أوامره صلى الله عليه وسلم وتكليفاته باختلاف من يأمرهم ويكلفهم، فيكلف أبا بكر في الهجرة بما لا يكلف به عليا، ويكلف بعض أصحابه بقيادة السرايا وبعضهم بالمنافحة عنه وعن الإسلام بالشعر كما فعل مع حسان بن ثابت، ويعتذر لأبي ذر عن توليته لبعض أمور المسلمين، وقد يقبل من بعض الأفراد موقفاً أو سلوكاً لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف، كما قَبِل من بعض. **معرفة علوم اللغة العربية:** معرفة إلى حد معقول، إذ العلاقة بين الدراسات الإسلامية وعلوم العربية وطيدة، فالقرآن الكريم وهو المصدر الأساسي الأول للتشريع الإسلامي نزل بلسان عربي مبين، وهكذا الأحاديث النبوية الشريفة. وهذه العلاقة ملاحظة من نواح عديدة، منها: أن معظم المؤسسات التعليمية التي تعنى بتدريس الدراسات الإسلامية تطلق على برامجها اسم قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية، أو اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وإن علوم اللغة العربية عندما نشأت كانت لخدمة الدراسات الإسلامية، ولذا نجد علماء اللغة العربية (النحاة مثلا) يبينون غاية تعلم النحو وفائدته بأنه التحرُّز عن الخطأ والاستعانة على فهم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم (شرح مختصر على متن

الآجرومية للعلامة السيد أحمد زيني دحلان صـ2). ويقول الشيخ أحمد الحملاوي إن ثمرة الصرف صون اللسان عن الخطأ، واستمداده من كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العرب... (شذا العرف في فن الصرف صـ 18). ومما يدل على شدة العلاقة بين الدراسات الإسلامية واللغة العربية أن كتب العربية الأصيلة تزخر بشواهد من القرآن والسنة (تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني للعلامة أحمد بن زين بن مصطفى الفطاني، دار إحياء الكتب العربية الغورية مصر). وقد جعل العلماء الشرط الأول في المجتهد أن يعرف علوم اللغة العربية (من معرفة بالنحو والصرف والبلاغة ومعرفة معاني مفردات اللغة وتراكيبها وخواص الأساليب المختلفة في التعبير)، ثم العلم بالقرآن الكريم، ثم العلم بالسنة، ثم العلم بالقياس، ثم فهم مقاصد الشريعة. فهذه المعرفة ستكون عونا له على فهم الدراسات الإسلامية وإفهام الطلاب إياها من مصادرها الأساسية الأصيلة، ولا سيما كتاب الله وسنة نبيه الشريفة، وهما باللغة العربية الفصحى. **يقول الله تعالى فى قرآنه:** {إنا أنزلناه قرآناً عربيًّا لعلكم تعقلون} (يوسف: 2)، و يقول جل شأنه: {إنا جعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون}(الزخرف:3)

ويوصينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا: "تعلموا العربية فإنها من دينكم." ويقول ابن تيمية: " إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"اللغة العربية من أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق، ولأسرار وحكم يعلمها الله، اختار هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد {...بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء :193). وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامي عن جميع مقومات الحياة، وأوج مجدها في الفصاحة والنتاج الأدبي شعرا ونثرا، وظهرت روائع إنتاجها في الأشعار والأمثال والقصص. ومع نزول القرآن بهذه اللغة ارتفع شأنها وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين، وإن للغة العربية فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي، وتقدم العلوم والفنون والآداب المختلفة، ولأجل القرآن ظهرت علوم القرآن كلّها كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف، والبلاغة التي كانت أساسا لتفسير نصوص القرآن وفهمها. وإن دراسة القرآن والحديث تحتاج إلى اللغة العربية لما فيها من معان سامية ومفاهيم أصيلة، وإذا قدمت معاني القرآن الكريم أو الأحاديث

النبوية مترجمة إلى اللغات الأجنبية فتعوزها روح الأصالة وروعة النصوص التي ينوط بها إعجاز القرآن وكذلك غزارة المعاني التي تمتاز بها اللغة العربية، ومن ناحية أخرى إن نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية في مقدمة الوسائل الفعالة التى تساعد على إيجاد التقارب الفكري بين أفراد الأمة الإسلامية لأنها تحمل في طياتها القيم الروحية التي يمنحها الإسلام لكل مسلم كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والأخوة التي تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق، ومنح الله سبحانه وتعالى للمسلمين هذه اللغة لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في أنحاء الأرض، بحيث يسعى كل مسلم لأن يقرأها ويفهمها بل ويتحدث بها، وإنها أيضا الوسيلة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية. ومن هذا المنطلق تظهر أهمية معرفة اللغة العربية لمدرسي الدراسات الإسلامية، وفيما يلي نماذج واقعية مما لاحظها الباحث شخصيا تدل على ضرورة معرفة اللغة العربية لدى كل من يضطلع بتعليم الدراسات الإسلامية، وخطورة عدم تلك المعرفة. وبوساطة هذه المعرفة يتسنى لمعلم الدراسات الإسلامية أن يقي نفسه من الوقوع في أخطاء قد تشوّه شيئا من المفاهيم الإسلامية السامية، أو يترتب عليها تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، أو التي قد تخرج صاحبها من الإسلام. فعلى سبيل المثال لا الحصر ذات مرة قد زرت إحدى المؤسسات التعليمية التي تعتني بتدريس الدراسات الإسلامية فإذا بمعلم يعلم طلابه مادة تفسير القرآن الكريم وهو يقرأ الآية الواردة في سورة البقرة:221: {ولا تَنْكِحُوا المشركات حتى يؤمنّ... ولا تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا...}، فما استطاع هذا المعلم الذي لا يعرف العربية التفريق بين كلمة "**تَنْكِحوا**" المشتقّة من "نَكَحَ" الثلاثي المجرد، على وزن فَعَل من باب ضَرَبَ يَضْرِب، وكلمة"**تُنْكِحوا**" المأخوذة من "أَنْكَحَ" الثلاثي المزيد فيه بحرف؟! ألا تلاحظون أن المعلم –بهذا الخطأ الذي قد يبدو هيِّنا لدى بعضنا وهو عند الله عظيم– قد أحل أن ينكح الرجل رجلا بشرط أن يؤمن، أليس هذا باللواط، أو عمل قوم لوط؟! أفلا تذكرون ما فعل الله بهم؟!

وفي يوم من الأيام في مدرسة أخرى كان معلم الدراسات الإسلامية يدرس مادة التفسير أيضا، سورة البقرة:58 قول الله تبارك وتعالى:{...وقولوا حطّةٌ نغفرْ لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين}، فأخبر طلابه بأن "قولوا حطّةٌ " تعني كلوا حِنْطَة" والحنطة هي القمح، مما اضطرَّ

أحد طلابه أن يسأله عن سر تخصيص أكل القمح دون غيره من الحبوب، فأجاب ذلك المعلم بأن الله قد قال ذلك فليسألوه!!!

وفي معهد آخر شاهدت معلم التفسير يعلم طلابه الآية 28 من سورة فاطر قائلا{ ... إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ...} حيث جعل لفظ الجلالة فاعلا فرفعه، وجعل العلماء مفعولا به فنصبه، ودل هذا على أن الله لا يخشى من أحد من خلقه إلا من العلماء، والصحيح الثابت عكس ذلك تماما، أي: { ... إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ...} أي أن العلماء هم الذين يخشون الله خشية حقيقية!!! الخشية من شيء صفة من صفات المخلوقات!!!

والأمثلة القرآنية كثيرة كالواردة في سورة التوبة:3 { ... أنّ الله بريء من المشركين ورسولُهُ...} حين يقرأ القارئ الآية {... أنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ...}. وفي قوله تعالى: { وقالوا ربّنا عجل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب...} سورة ص:16. وفي قوله سبحانه وتعالى:{وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}(سورة العنكبوت:64). وقوله تعالى {ولا تَلبِسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون}(سورة البقرة: 42).

وفي أحد الأيام في موقف آخر وجد معلم يدرس الحديث النبوي الذي رواه الإمام مسلم: "من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشرا" موردا بعده الآية 56 من سورة الأحزاب {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}، وفي شرحه لطلابه قال إننا مطالبون بأن نصلي الصلوات المسنونة بنية إهدائها للرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من صلى واحدة جزاه الله عز وجل جزاء عشر صلوات، بينما يتضح لمن يعلم أن "صلّى" وحدها لا تساوي في المعنى "صلّى على" إذ الصلاة على تعني الدعاء لأحد بالخير، وصلى الله على رسوله يعني حفَّه ببركته، وهذا جعل بعض العلماء يوضحون الفرق بين الصلاة من الله، ومن الملائكة، ومن المؤمنين حيث ذكروا أن الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الآدميين التضرع والدعاء بخير.

وذات يوم في مدرسة أخرى كان المعلم يدرس مادة الحديث النبوي فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن كيس قطن" على الرغم من أن الحديث المذكور رواه الديلمي عن أنس بلفظ :المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ . وقد قال عنه العجلوني في "كشف الخفاء"إنه ضعيف... وقال عنه الألباني رحمه الله، إنه موضوع. وعندما سئل المعلم من قبل تلامذته عن معنى الحديث كما أورده بلفظه، رد قائلا إن قلب المؤمن مثل الكيس النظيف والقطن الأبيض الناصع. فتلاحظ أنّ المعلم يلف ويدور ولا يرعوي لعدم معرفته. و"كَيِّس"عاقل، والكَيْس والكِياسة العقل، و"فَطِن" ذو بصيرة نافدة لأن الفِطْنَة حدة البصيرة في بذل الأمور يفطَن بزيادة نور عقله إلى ما غاب عن غيره فيهدم دنياه ليبني بها أخراه ولا يهدم أخراه ليبني بها دنياه.

فكيف يعلِّم مادّة تفسير القرآن، والحديث النبوي الشريف... من لا يعرف العربية ؟! من لا يفرق بين القريب والغريب، ولا بين مصرُ ومصرٌ، ولا بين عمر وعمرو، ولا بين الحج والحاجّ، ولا بين الصلاة، والصلات، والصالة، بل يجمع بين "ال" والتنوين في كلمة واحدة!!! فـهل فاقد الشيء يعطيه- يا ترى ؟!

<u>وأن يكون معلما ومتعلما في الآن عينه</u>: ينبغي لمعلم الدراسات الإسلامية أن يكون معلما ومتعلِّما في الوقت نفسه، بأن يكون حريصًا على حضور مجالس العلم، والبحث عمَّن هو أعلم منه والاستفادة منه، والسؤال عما أشكل عليه في دينه ودنياه، وقد ورد في الحديث:"...إنما شفاء العِيّ السؤال". العي : الجهل ، عَيِيَ به يعيا عيا و عَيَّ ، بالإدغام والتشديد مثل عيي. قال الجوهري : العي خلاف البيان ، وقد عي في منطقه . وفي المثل:" أعيا من باقل". وفي المعجم الوجيز صـ444:" العِي: العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود" فلا يخجل - وإن بلغ من الكبر عتيًّا- من أن يسأل من هو أصغر منه سنًّا أو أقل منه منزلة في المجتمع...، وأن يكون كثير المذاكرة، فآفة العلم النسيان... المعلم الرسالي لا ينقطع عن طلب العلم والسؤال عنه مهما بلغ الغاية فيه؛ إذ لا غاية في العلم، ولا شبع منه: (وقل رب زدني علماً) [سورة طه: 114]، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)[سورة الإسراء: 85]، وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله، وقيل له مرة أخرى

مثل ذلك، فقال: لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد، وسئل أبو عمرو بن العلاء: متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ فقال: ما دام تحسن به الحياة [جامع بيان العلم ص: 156]. فالعلم يتطور ويتقدم فيحتاج إلى الرصد والمتابعة، فالعلم بالتعلم، (وفوق كل ذي علم عليم) [سورة يوسف: 76]، ولا حياء في طلب العلم، كيف وقد ضرب لنا أحد أولي العزم من الرسل، كليم الله موسى، المثل الأعلى في ذلك وهو يطلب علم الخضر ويصحبه فيه وهو الأعلى منه في المنزلة ولا ريب، وقد قال قتادة: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام، ولكنه قال: (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) [سورة الكهف: 66] [جامع بيان العلم ص: 162].

فالمعلم الرسالي لا يستكبر ولا يستنكف، أي لا يمنعه من الاستزادة في العلم كِبْر ولا كِبَر، ولا حياء ولا صغر، فمن قال: علمتُ فقد جهل، ومن صدّه الحياء عن العلم فقد حَرَم نفسه، وقد قال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر [رواه البخاري معلقا في كتاب العلم 276/1، وذكر الحافظ أن أبا نعيم وصله في الحلية]. وقالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين [المرجع السابق، ووصله مسلم في صحيحه]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائلٌ فأتوسد ردائي على بابه فتُسفي الريح علَيَّ التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمّ رسول الله! ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول أنا أحق أن آتيك فأسألك [سير أعلام النبلاء 343/3].

وكان الإمام الشافعي يطلب من تلميذه أحمد بن حنبل أن يوقفه على صحة الأحاديث لما رأى من اهتمامه بها ونبوغه فيها [انظر: طبقات الحنابلة ـ القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى 6/1]. فلا عجب ولا غرابة أن يستفيد المعلم مِن طلابه في بعض مسائل العلم، بل أن يتراجع عن خطأ له وقع فيه، ويتحلى أمامهم بقوله: لا أدري، والله أعلم، فيما خفي عليه، وندَّ عنه، ولم يحط به علماً، فهذا يجعله كبيراً في نفوسهم، ويتعلمون منه التواضع، وترك التعالم، وعدم الجرأة على الفتيا، وتقحّم ما لا يحسن. يقول الإمام النووي رحمه الله في صفات العالم: أن "لا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر، بل

يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، وإن كان دونه في جميع هذا، ولا يستحي من السؤال عما لم يعلم" [المجموع شرح المهذب 29/1].

ويقول ابن جماعة: "واعلم أن قول المسؤول: (لا أدري) لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله، وقوة دينه وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته وحسن تثبته، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف، وإنما يأنف من قول لا أدري من ضعفت ديانته، وقلت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورقة دين، وربما يشهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فرّ منه، ويتصف عندهم بما احترز عنه، وقد أدب الله تعالى العلماء بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام حين لم يرد موسى عليه الصلاة والسلام العلم إلى الله تعالى لما سئل هل أحد في الأرض أعلم منك" [تذكرة السامع والمتكلم. ابن جماعة ص:42-43].

<u>عدم ضيق الأفق</u>: **ينبغي أن يكون معلم الدراسات الإسلامية واسع الأفق**، بأن يزود نفسه بقدر كاف من المعلومات العامة، كأن يعرف الحسابات الأساسية التي يستعين بها في تدريس مادة الفرائض، وتوزيع الزكوات في مادة الفقه. وأن يكون متعدد اللغات حتى يتمكن من الاطلاع على ما يكتبه غيره بلغات أخرى، ويتسنى له تعليم الدراسات الإسلامية في أي مكان آخر دون الاستعانة بالمترجمين مما قد يحول دون توصيل الرسالة في صورتها الأصلية. وضيق الأفق قد يحمل المعلم أحيانا على التعصب ببعض الآراء غير الصحيحة، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، وأحيانا قد يكون إمَّعة يميل حيث تميل الرياح.

والآن أورد بعض الصور السلبية لبعض المعلمين والتي ازدحمت بها مؤسسات التعليم على مختلف مراحله.

الأول: لجأ إلى وظيفة التعليم بغية الامتهان؛ ينظر إليها على أنها مجرد سبب للتكسب والارتزاق، ولو كان يقدر على امتهان وظيفة أخرى غيرها تُحقق له مكاسب أكبر أو مثلها دون

تحمل مشاق التعليم لقصدها، فهو صريع لميزان الربح والخسارة المادية، والحوافز والعوائق، يقابل بينها، دون نظر إلى رسالة التعليم وأهدافها السامية، فهو لا يحفل بها ولا تقع في دائرة همومه، فماذا يُنتظر من معلم الأجيال وهذه النظرة مسيطرة عليه، تملأ عليه مداركه وهمومه؟!

الثاني: يشكو دهره ويندب حظه، وهو منغمس في أعباء التدريس التي لا تكاد توفر له راحةً ولا تدرّ عليه مالاً يكافئ جهده، فما يبذله أكثر مما يحصل عليه، فتراه يتطلع إلى أقرانه الذين اختاروا أعمالاً أخرى غير التعليم؛ يتعاملون مع أوراق صماء، ويواجهون جمهوراً من الناس أرقى عقولاً وأسهل تعاملاً من أطفال المدراس، والأهم من ذلك أن تنتهي أعمالهم وعلاقتهم بدائرة العمل بانتهاء الدوام الرسمي، أما صاحبنا فأعباء المهنة تلاحقه حتى في أوقات راحته وأعياده وعطلاته الرسمية، وأقل ذلك همومهاً، فهو ينظر إلى نفسه أنه أخسر الناس صفقة، فأية فائدة تربوية ترجى ممن كان في هذه الحالة؟!

الثالث: لا يهتم بما يدور خارج قاعة الدرس، فجل همّه إكمال المقررات والفراغ من تدريسها، والإتيان على عناصرها ومفرداتها لا يترك منها شيئا، هذا ما يشغله، وهو ما يوظف نفسه لتحقيقه، غير ملتفتٍ لغيره، وهذا منه حسن، لكنه فاقد الإحساس أو فاقد الغيرة على أحوال أُمته وأحوال أبناء المسلمين الذين يتهافتون على الفساد أمام ناظريه، دون أن يحرك ذلك فيه ساكناً، أو يثير فيه حميّة، كأن الأمر لا يعنيه في شيء؛ وإنما الذي يعنيه تدريس الفاعل والمفعول، أو توضيح المركبات وقوانينها وخصائصها. بل الأعجب أن يكون صاحبنا معلماً لمواد العلوم الشرعية، وهو مع ذلك منفصل تماماً عن واقع طلابه ومجتمعه.

الرابع: لا يبارح تخصصه العلمي أو الأدبي البحت، بل هو يراوح بين نواحي المقرر والتخصص، لا يربطه بالقضية الكبرى، قضية الإيمان والأخلاق وتعميقها في نفوس طلابه من خلال تخصصه، ومراعاة ذلك في سلوكهم وفهمهم واستيعابهم، ظاناً أن هذا ليس من شأنه، ولا من مهامه، بل له أستاذ آخر ومقرر آخر، أما هو فليوفر جهده ووقته لما هو بصدده من قضايا التخصص.

الخامس: لجأ إلى التعليم باعتباره الوظيفة الوحيدة المتاحة أمامه، لم يقصدها رغبةً ولا حرصاً، بل مُكره أخاك لا بطل، فهي الوحيدة التي تتناسب وقدراته ومؤهلاته، دون رغباته وتطلعاته، وحاله يحكي حال الآلاف من طلبة كليات الشريعة والعلوم الإنسانية والأدبية، الذين لجأوا إليها مكرهين مدفوعين بالأبواب، حيث حبسهم ضعف المعدل الأكاديمي عند هذه الحدود، ولم يمكِّنهم من تجاوزها إلى كليات أخرى كانت محط آمالهم، ومنتهى تطلعاتهم. فأي تفوّق وإبداع وأي إخلاص يرجى ممن هذا حاله سواء في الطلب، أو في العطاء...

فهذه وغيرها صور سلبية متعددة تزدحم بها حياتنا التعليمية ، لها الأثر السيء والعميق في مؤسسات المجتمع المتنوعة.

ثانيا: التقويم/التقييم: مهمل تماما أو قاصر:

(الاختبارات/ الامتحانات/ الأنشطة اللاصفية...)

إن أكثر المؤسسات التي تعنى بتدريس الدراسات الإسلامية لا تمتحن الطلاب، وإن كثيرا منها لا تعطي الامتحانات حقها المستحق. أثبت خبراء التربية أهمية التقويم في مخرجات العملية التعليمية حيث أكدوا أن عملية التقويم في مسار العملية التعليمية عملية شائكة ومعقدة. فالتقويم يحتاج إلى عدة أسس وأدوات ووسائل وطرائق، وبرامج علمية حديثة حتى تكتمل مقوماته وعناصره، وتتضح رؤيته الغائية التربوية والتعليمية... فالاختبارات الشهرية أو النصفية أو النهائية أو الوزارية ليست هي نهاية المطاف، بل هي جزء يسير في عملية التقويم، وتمثل وسيلة من وسائل التقويم في جانب محدد من العملية التعليمية أي في المقررات الدراسية فقط متجاهلةً الجوانب اللاصفية من أنشطة ومناشط علمية وأدبية وفنية ورياضية وثقافية ومهارية، واجتماعية وصحية...الخ فللاسف الشديد طرائق التعليم والتعلم تعتمد -أساساً- في مدارسنا وجامعاتنا على الطرائق القديمة كالإلقاء ،والتلقين والحفظ، ولذلك تأتي مخرجاتنا من العملية التعليمية هزيلةً وركيكةً وغير مجدية.. فالعملية التعليمية ليست عبارة عن استيعاب وحفظ المعلومات المعرفية والعلمية المقررة دراسياً فقط بل لا بد من الالمام بالأنشطة المصاحبة للمناهج الدراسية نظرياً وعملياً حتي تؤتي ثماراً ناضجة، وعقلاً واعياً مدركاً لمستجدات العصر ومتطلباته

الحياتية والعلمية..فالعملية ليست وضع اختبارات ثم علامات ودرجات نجاح أو رسوب... فالعملية أكبر من ذلك بكثير. من هنا تأتي أهمية التقويم ،وهذه مسؤولية القائمين على شؤون الاختبارات والتقويم:«قطاع التوجيه والتقويم والاختبارات» بأن يترجموا تلك الاهداف التربوية سلوكاً عملياً وحركياً حتى يحدثوا تغييراً حقيقياً في سلوك الدارسين، وأنماط أفكارهم ومعارفهم بصورة تشمل شتى الجوانب معرفياً وعلمياً ووجدانياً ومهارياً واجتماعياً وبدنياً حتى تكون صورة ومضمون التقديم أشمل وأوسع، ولا تحصر فقط في عملية الاختبارات أو الحصول على المجاميع العالية... فكم من الدارسين الذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على مجاميع عالية وقدراتهم العقلية والمعرفية ممتازة.. وكم من الدارسين حالفهم الحظ بالحصول على مجاميع عالية، ولكن للأسف لم يوفقوا في اختبارات القبول للجامعات ... فيا ترى هل الشهادة الدراسية مقياس حقيقي أم أن هناك عوامل أخرى لابد من توافرها عند عملية التقويم؟! من هنا ندرك أن الخلل يكمن في وضع المناهج والمقررات الدراسية وطرائق التدريس العقيمة وإعداد المعلمين إعداداً هشاً علمياً ومهنياً، وغياب الإدارة المدرسية، والتوجيه الفاعل والمؤثر... وعلينا أن ندرك حقيقة أن عملية التقويم ليست محصورة في الاختبارات أو دروس الحصة أو الواجبات المنزلية فقط، بل هي عملية شاملة ومتكاملة مع جوانب تربوية شتى.. لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ولصيقاً بنمو وشخصية الدارس أيًّا كان..فالقضية ليست حشو أذهان وعقول الدارسين بالمعلومات والمعارف المتباينة، والمقررات الدراسية الجامدة عن طريق الحفظ والتلقين فقط.. بل لابد من الاهتمام بالنواحي الأخرى لشخصية الدارس: عقلياً وانفعالياً ،وبدنياً، وخلقياً، واجتماعياً، ومهارياً، وسلوكياً، وعقيدياً...الخ حتى تكون عملية النمو شاملة وكاملة، ومشبعة بشتى المهارات والفنون معرفياً وعلمياً وسلوكياً.. وعلى ضوء ذلك تبنى الاهداف والأسس التربوية الهادفة من عملية التقويم التي يستفيد منها الدارسون قدر المستطاع حتى تحدث عملية التغيير والتجديد في سلوكهم، واتجاهاتهم ومهاراتهم الذهنية والفكرية والنفسية والوجدانية والمعرفية... وكما نعلم جميعاً بأن الهدف من عملية التقويم تحسين وجودة مخرجات التعليم حتى يحقق اهدافه ونتائجه بصورة أفضل لمواكبة متطلبات العصر الحديث...

من هنا نستطيع أن نقول :إن التقويم عملية مستمرة ومتواصلة طالما هناك اهتمام بتحسين وتجديد المناهج الدراسية، وطرائق التدريس، واعداد المعلمين اعداداً جيداً نوعياً ومهنياً، ولا بد كذلك من تفعيل دور قطاع التأهيل والتدريب، وقطاع الأنشطة المدرسية، وقطاع التوجيه الفني

والتربوي حتى نستطيع أن نرتقي بالعملية التعليمية التربوية إلى الأفضل ونضمن بذلك نتائج طيبة، ومخرجات جيدة قادرة على العطاء والتأقلم مع مستجدات العصر... فالقضية قضية شائكة ومعقدة كما ذكرنا آنفاً... ولكن لا بد من تضافر أيدي الجميع: معلمين، وإدارات مدرسية وتربوية، وأولياء أمور، ومتخصصين اجتماعيين ونفسيين، وجهات ذات علاقة بالطفولة والشباب حتى تكون عملية التقويم شاملة ومتكاملة بين البيت والمدرسة والمجتمع.. ونستطيع أن نقول باختصار شديد إننا نتعامل مع بشر له شخصيته ومقوماته ونموه وسلوكه الذي يتباين من شخص لآخر.. لذا لابد أن نراعي الفروق الفردية عند عملية التقويم حتى نحاول قدر الإمكان الارتقاء بالدارسين كيفاً ونوعاً قبل الكم والشكل ... فالموضوع طويل وشائك.. ولكن علَّ هذه القطرة تفتح شهية القائمين على عملية التقويم والاختبارات!

ثالثا– متفرقات:

- المبالغة في استخدام العصا وسيلة للزجر والتأديب، وإهمال أسلوب الحوافز.
- عدم الرواتب، مما أدى إلى ابتكار وسائل بديلة للحصول على الرزق، كالإنفراد بالزكوات، والتكفف المستمر، والتطبُّب، وممارسة السحر والشَّعوذة.
- عدم النظام، فلا توجد جداول دراسية، ولا يسجَّل الطلبة، ولا تمنح الشهادات.
- الاهتمام بتحفيظ الأناشيد والمدائح النبوية والقصائد الدينية، وإهمال تحفيظ القرآن والأحاديث النبوية.
- التساهل في إطلاق المسميات التربوية أو التعليمية، كالجامعة، والثانوية، والمعهد...
- عدم تعليم مواد أخرى كالرياضيات، والعلوم، والجغرافيا،...

فعلينا إذًا إعادة النظر في معايير تعيين معلم الدراسات الإسلامية، وفي المقررات، وطرائق التدريس، والوسائل التعليمية، والتقويم حتى تواكب هذه العناصر عصر العولمة الذي نعيشه حاليا، وهذا سيكون وسيلة فعالة لإنتاج أجيال إسلامية متقدمة، إذ يستحيل جني العنب من الشوك!!!

رابعا: توصيات ومقترحات:

- الاستفادة من قوائم الكفايات التعليمية التي توصلت إليها بعض الدراسات في بناء برامج تدريبية لتنمية كفايات معلمي الدراسات الإسلامية في أثناء الخدمة.
- ضرورة أن يكون تقويم المعلم قائما على الكفايات ومدى امتلاكه للمهارات التدريسية كشيء أساسي في تقويمه.
- ضرورة الاستفادة من المعلمين المتميزين أصحاب الكفاءات منهم، والمحافظة عليهم وتدعيمهم عن طريق المتابعة، وتزويدهم بكل ما يستجد من طرائق التدريس، وعن طريق إجراء الدروس النموذجية وورش العمل بين المعلمين.
- ضرورة إعادة تأهيل المعلمين الذين يعملون في الميدان ممن يظهر لديهم تدنٍّ في مستوى أدائهم للكفايات التعليمية اللازمة لمعلم التربية الإسلامية.
- إعداد دليل لمعلم التربية الإسلامية يتضمن جانباً من الكفايات التخصصية اللازمة لتدريسهم هذه المادة، و ماذج إجرائية لكيفية تدريس التربية الإسلامية، وتحويل المفاهيم الإسلامية إلى مظاهر سلوكية يمكن أداؤها في الموقف التعليمي.
- اهتمام معلمي التربية الإسلامية بتنمية ثقافتهم الإسلامية وتنمية كفاياتهم التعليمية.
- الاهتمام بتدريب معلمي التربية الإسلامية على كفايات استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية لتحقيق أهداف الدرس وخدمة المعلم في إيصال المعلومة للتلميذ.

- العمل من قبل المؤسسات المعنية بإعداد المدرسين على ترسيخ مفاهيم الوسائل وأهميتها واستخداماتها.

- تزويد المدارس بشرائح وأفلام تحتوي على شروح وإيضاحات عملية ومبسطة لبعض المواد الدينية التي تدرس في المرحلة المتوسطة، كأنصبة الزكاة، ومراحل الوضوء، وإيضاح بعض الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن الكريم.

- يجب أن يؤكد المنهج المقرر على استخدام المدرسين لكل وسيلة.

- أن يقوم قسم الوسائل بكليات التربية والكليات المتوسطة وإدارات التعليم، بالتعاون مع أقسام المناهج وطرق التدريس في تلك الكليات وفي كليات الشريعة وأقسام الدراسات الإسلامية، بإنتاج وسائل تعليمية تخدم أغراض تدريس المنهج.

- تنظيم دورات لمدرسي المواد الدينية في الوسائل الخاصة بموادهم وإطلاعهم على كيفية الاستعانة بالوسائل المتاحة، وكذلك استغلال الخامات البيئية الموجودة في إيجاد وسائل دينية جديدة.

- على قسم الوسائل بالوزارة أن يضع خطة لتغطية كل مواضيع المواد الدينية بالوسائل المناسبة، وذلك بالاشتراك مع إدارات المدارس، ومدرسي المواد الدينية، وبعض علماء الدين.

- تعيين اختصاصي مواد دينية للوسائل التعليمية الدينية في قسم الوسائل بالوزارة.

- طرح موضوع الوسائل التعليمية لمناقشة عامة، يشارك فيها من يوثق بعلمهم، للخروج بقناعة في عدم حرمة هذه الوسائل، أو بعضها، من قبل بعض مدرسي المواد الدينية.

- إيجاد كتاب للمعلم في المواد الدينية، يوضح أفضل الطرق والوسائل التي يمكن أن تستخدم لكل درس.

- استغلال معامل اللغات كوسيلة تعليمية في المواد الدينية، وذلك لدورها الكبير في تسهيل تدريس تلك المواد، وعلى المسؤولين عنها أن يزودوها بأشرطة عليها القرآن الكريم، ليستفاد منها في تعليم التلاوة وكيفية التجويد ومخارج الحروف إلى غير ذلك.

- على المختصين من موجهي ومدرسي المواد الدينية، تقديم تصميمات لوسائل يمكن إنتاجها بمعرفة قسم الوسائل، مع عدم الاكتفاء بما ينتج على مستوى المدارس.

- إجراء دراسة تجريبية عن أثر تدريس المواد الدينية بواسطة استخدام الوسائل التعليمية.

- إيجاد كتيب يوضح كيفية استخدام الوسائل التعليمية في تدريس المواد الدينية.

- أن تحتوي الكتب المقررة في المواد الدينية، على خرائط ورسوم وأشكال توضيحية، ورسوم بيانية، لتساعد كوسائل تعليمية في توضيح حقائق الدروس.

مراجع

أولا: القرآن الكريم

ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله: تذكرة السامع والمتكلم

ابن عبد البر: جامع بيان العلم .

ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه 93/1 المقدمة ح:254

أبو حطب، فؤاد عبد اللطيف: التعليم والتقويم كنظامين مفتوحين... القاهرة، 1979م.

أبو مغلي، سميع: أساليب التربية والتعليم في الإسلام، ط1، دار القدس للنشر والتوزيع، الأردن، 1990م.

أبي يعلى، القاضي أبو الحسين محمد: طبقات الحنابلة 6/1.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه : صحيح البخاري 6/95-96(الفتح) كتاب الجهاد.

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 372/1

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم: مستدرك الحاكم 86/1 كتاب العلم.

الحازمي، خالد بن حامد: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، ط1، 2000م، الرياض.

الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد: شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1999م.

الحنبلي، ابن رجب: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم .

الحوسني، راشد بن سيف بن راشد: تدريس التربية الإسلامية بأسلوب حل المشكلات، ورقة عمل

الحوسني، موزة: الأسلوب القصصي في تدريس التربية الإسلامية، ورقة عمل

خاطر، محمود رشدي وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة القاهرة، دار المعرفة، 1981م.

الخطيب، محمد إبراهيم: مناهج اللغة العربية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع 2009م، ص 105،

الخطيب، محمد شحات وآخرون: أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – 1995م .

دحلان، أحمد زيني: شرح مختصر على متن الآجرومية، كتب خانة إشاعت الإسلام، دلهي.

الدخيل، محمد عبد الرحمن فهد: مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، مركز طيبة للطباعة – المدينة المنورة– الطبعة الأولى، 1418هـ.

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء 343/3.

السالمي، محسن بن ناصر: طريقة الاستقصاء وتوظيفها في تدريس التربية الإسلامية، جامعة السلطان قابوس، عمان.

شحاته، حسن وآخرون: تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، ط7، 1989م.

العجلوني، إسماعيل الشافعي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

العجمي، زينب: استخدام شكل سبعة المعرفي في تدريس التربية الإسلامية، ورقة عمل بالبوربوينت، قدمت في ملتقى مشرفي التربية الإسلامية لعام 2004 / 2005 م.

عبد الموجود، محمد عزت: التخطيط لعملية التدريس، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، 1977م.

الفطاني، أحمد بن زين بن مصطفى: تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني ، دار إحياء الكتب العربية الغورية مصر.

القرضاوي، يوسف: الرسول والعلم، الدار المتحدة مؤسسة الرسالة،

قطب، سيد: مقومات التصور الإسلامي،ط4، دار الشروق، القاهرة–بيروت 1988م

قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته:ط7، دار الشروق، بيروت– القاهرة 1982م.

قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، 1982م.

لبيب، رشدي: التقويم وتطوير الأهداف، ورقة بحث مقدمة في مؤتمر التقويم كمدخل لتطوير التعليم، 1979م.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين.

مذكور، علي أحمد: منهج التربية في التصور الإسلامي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1990م.

النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر المعاصر – ط25 ، 2007م.

النووي، محيي الدين بن شرف: المجموع شرح المهذب 29/1.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم 1513/3 كتاب الإمارة.

يونس، فتحي وآخرون: أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981م.